الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
السنة السادسة والثلاثون
جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ - كانون الأول ٢٠٢١م
العدد
٤٢٤

حزب التحرير

حزب التحرير
والثبات على طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

لماذا استنصار الجيوش واستنهاض أهل القوة في طلب النصرة والمنعة؟ ص٦

استعادة سلطان الأمة بإسقاط الأنظمة وإقامة دولة الخلافة ص١٠

طرق التصدّي لأساليب الاستعمار؛ في الاحتواء والتبعية ص١٨

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
برخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

العدد ٤٢٤

السنة السادسة والثلاثون
جمادى الأولى ١٤٤٣هـ
كانون الأول ٢٠٢١م

المحتويات

• كلمة الوعي: حزب التحرير والثبات على طريقة الرسول ﷺ في العمل لإقامة (خلافة على منهاج النبوَّة) ٣

• لماذا استنصار الجيوش واستنهاض أهل القوة في طلب النصرة والمنعة ٦

• استعادة سلطان الأمة بإسقاط الأنظمة وإقامة دولة الخلافة (١) ١٠

• طرق التصدّي لأساليب الاستعمار؛ في الاحتواء والتبعية ١٨

• الاحتيال والتلاعب بالنظريات العلمية خدمة للأطماع الرأسمالية ٢٥

• قراءة جيوستراتيجية في بذور وجذور تغلغل النفوذ البريطاني في بلاد المغرب من أدناه إلى أقصاه (١) ٣٢

• أخبار المسلمين في العالم ٤٢

• مع القرآن الكريم: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ ٤٥

• رياض الجنة: أوصاني خليلي... ٤٨

• كلمة أخيرة: الدعوة إلى «الديانة الإبراهيمية الجديدة» وجه آخر من وجوه الحرب على الإسلام ٥١

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

حزب التحرير والثبات على طريقة الرسول ﷺ في العمل لإقامة (خلافة على منهاج النبوَّة)

عطية الجبارين- فلسطين

لقد مَنَّ الله عز وجل على الأمة الإسلامية إذ جعل فيها من يجدِّد لها دينها بعد أن أصابها ما أصابها من تشتُّت وضياع وفقدان هويتها الفكرية والثقافية بعد أن هُدمت دولة الإسلام وألغي نظام الخلافة، ثم كانت الـمِنّة كذلك عظيمة عندما شاء الله سبحانه وتعالى أن يهدي العلاَّمة الشيخ تقي الدين النبهاني الذي أدرك واقع الأمة أدقَّ إدراك، وأبصر طريق نهضتها وسبيل ارتقائها أعظم إبصار. فالشيخ تقي الدين (رحمه الله تعالى) أدرك أن الحال الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية كان نتيجة إقصاء الإسلام من واقع الحياة والمجتمع، أي من واقع التطبيق العملي؛ وذلك بهدم دولة الإسلام الحافظة والحامية للإسلام وأهله. وقد أدرك الشيخ (رحمه الله تعالى) أيضًا أن سبيل وطريق إعادة هذه الدولة وهذا الكيان، أي إعادة دولة الخلافة لا يكون إلا عن طريق تكتل سياسي يقوم على العقيدة الإسلامية ويختطُّ الطريق الذي سار عليه الرسول ﷺ في إقامته دولة الإسلام الأولى، وأن لا طريق سواه لتحقيق تلك الغاية؛ وعلى ذلك أسَّس الشيخ الجليل رحمه الله حزب التحرير، وحدَّد هدفه وغايته بإعادة دولة الخلافة، وحدَّد الطريقة التي يجب على الحزب السير عليها، وبيّن أن الحيد عنها هو انحراف عن خط السير ومن ثم الفشل. والطريقة التي بيّنها الحزب وسار عليها هي أحكام شرعية واجبة الاتِّباع كون الرسول ﷺ سار عليها وثبت عليها رغم ما لاقى من عنت ومشقة وتعب وسعي من الكفار لحرفه عنها، وأيضًا كون الواقع اليوم وفي مكة المكرمة واحد من حيث عدم الحكم بالإسلام. والحزب منذ تأسيسه هو ثابت على هذه الطريقة، ولم يُبّدل ولم يُغيّر رغم ثقل الواقع وتعقيداته، ورغم كل محاولات حرفه وثنيه عن طريقته، ورغم ما لاقى شبابه من ظلم واضطهاد. هذا وقد بيّن الشيخ تقي الدين رحمه الله أن الطريق التي رسمها لنا قدوتنا وأسوتنا رسول الله ﷺ، والتي يجب على الحزب السير عليها في عملية التغيير وإعادة دولة الإسلام تكون على ثلاث مراحل هي: مرحلة التثقيف، ومرحلة التفاعل، ومرحلة استلام الحكم؛ من هنا كان من الأسس والثوابت التي يجب على الحزب أن يلتزم بها أن تكون طريقة الحزب للوصول للغاية وتحقيق الهدف هي طريقة الرسول ﷺ وأن

العمل الحزبي لتحقيق الغاية يكون بالصراع الفكري والكفاح السياسي وطلب النصرة وعدم القيام بالأعمال المادية؛ فلذلك ثبت الحزب على هذه الطريقة في سيره للتغيير منذ تأسيسه حتى يومنا هذا، وسيبقى ثابتًا بإذن الله حتى يحقِّق غايته وهدفه. والحزب لم يستجب للأصوات التي تنادي وتطلب منه أن يغيّر في طريقته بحجة عقم هذه الطريقة واستحالة تحقق التغيير بها في هذا الزمان، وكان الحزب حذِرًا من كل الأصوات المنادية والمطالبة له بأن يستخدم القوة المادية في عمله على غرار التيَّارات الأخرى، حتى ولو كانت هذه الأصوات أصواتاً مخلصة. لقد تعرَّض الحزب منذ تأسيسه لحملة شرسة وكبيرة تجاه الطريقة التي يسير عليها للتغيير لما تمثِّل هذه الطريقة من خطر على دول الاستعمار وعملائه، وكونها الطريقة الوحيدة فيما طُرح ويُطرح من طرق تعمل على أخذ القوة العسكرية في بلاد العالم الإسلامي من أيدي الحكام وجعلها بيد العاملين للتغيير؛ لأن القوة العسكرية هي سبيل إزالة الأنظمة العميلة من بلادنا، والتمكين في الحكم للعاملين للتغيير. وفي تغيير هذه الطريقة نجاح للاستعمار في حرف الحزب وإفراغه من جوهره؛ وبذلك ينتهي الحزب كحزب تغييري ويصبح واقعه كواقع التيَّارات المفلسة والضائعة.

فخدمة لمخططات الدول الاستعمارية؛ تعرضت الطريقة التي يسير عليها الحزب في التغيير لهجوم شديد وشرس من قِبل التيَّارات والحركات وعملاء الاستعمار الفكريين والجهلة من أبناء الأمة، وكان الهدف صرف الناس عن الحزب وزرع بذور الإحباط واليأس في قلوب الناس من حزب التحرير ومنهجه، فوصفوا ثبات الحزب على طريقته بأنه جمود وأحلام، وعملوا على تنفير الأمة من فكرة العمل على أخذ النصرة من جيوش الأمة، كل ذلك من أجل حرف الحزب وإحداث خلل في سيره وإبعاد الناس عنه؛ ولكن الحزب بفضل الله عزَّ وجلَّ ثبت على طريقته، ولم يتزحزح عنها قيد أنملة، كما أن جمهرة الأمة صارت تثق بالحزب وتتقبَّل طروحاته، ومنها طريقته في التغيير.

إن الحقيقة التي لا مراء ولا جدال فيها أن الحزب ثابت على طريقة التغيير التي بيّنها وتبنَّاها منذ تأسيسه، وهي واحدة لكافة الدول التي يعمل فيها للوصول للحكم، ولم يتبنَّ العمل المادي في أيٍّ منها ولن يتبنَّى؛ وإلا فإنه سيفقد ميزة التقيُّد والتأسِّي بطريقة الرسول ﷺ وسيخسر خسرانًا مبينًا، بل سيعتبر أنه قد فقد مبرِّر وجوده كحزب، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب : ٢٣]

فالاستعمار والمتأثِّرون به قد أغاظهم ثباتُ الحزب على الحقِّ واحتضان الأمة لفكرته، وهم

يريدون أن يورِّطوه باتهامه بالقيام بالعمل المادي ليقضوا عليه، ولَكَم حاولت الدول كاذبةً إلصاقَ هذه التهمة به لوصف الحزب بالانحراف وللتخريب عليه؛ ولكن الحزب كان يردُّ عليهم بإصرارٍ بأنه لا يقوم بالعمل المادي عن قناعة والتزام بطريقة الرسول ﷺ، وعن قناعة بعدم جدوى العمل المسلح، بل بضرره المحقَّق على أرض الواقع والذي لم ينبت إلا حشيشًا سامًّا على الأمة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

إن ثبات الحزب على هذه الطريقة ليس جمودًا وتحجُّرًا كما يتقوَّل البعض، بل هو ثبات على الحق. فنحن نتعبَّد الله عز وجل كما يريد وكما شرع لنا، وليس كما نهوى ونرغب، فهذا الثبات كان لأن الحزب مقتنع أن التزامَ طريق الرسول واجب، والثباتَ عليها واجب، والحيدَ عنها معصية. وثباتُ الحزب على طريقة التغيير التي تبنَّاها رغم كل الصعاب والمعوِّقات، وحملات التشويه والتشويش والتخريب، ومحاولة الحرف هو **أولًا**: منّةٌ من الله عز وجل، ثم **ثانيًا**: وعي وإخلاص وحرص من شبابه على الثبات على الحق والانضباط بالطريقة التي رسمها لنا قدوتنا وأسوتنا عليه الصلاة والسلام. فالحزب وشبابه يدورون مع الأحكام الشرعية حيث دارت، ولا مكان عندهم للمصالح والمنافع الدنيوية، ولا لرضا أصحاب القرار ومن بيدهم أمور وشؤون الناس.

إن الثبات على أي أمر من أمور الله هو دين وواجب، فكيف بالثبات على طريق الدعوة الذي لا يمكن التفريط به وإلا فتعثر، وضياع، وانحراف، وسقوط، ونكوص يغضب الله ورسوله، ويجعل له سبحانه علينا سلطانًا مبينًا. والله سبحانه وتعالى عندما يؤيد عبدًا أو يوفِّق جماعةً، فإنما يؤيدهم بالموقف الثابت وبالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾[إبراهيم: ٢٧] .

إن حزب التحرير هو بذرة خير وحق متجذِّرة وباقية وثابتة بفضل الله عز وجل ورعايته، وما على شبابه إلا غذُّ الخُطى ومواصلة العمل في سبيل هذه الدعوة وهذا الشرف العظيم؛ ليمنَّ الله عزَّ وجلَّ علينا بنصره وعزَّته، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ٥١﴾ [غافر: ٥١] وقال تبارك اسمه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٥﴾ [القصص: ٥]. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا استنصار الجيوش واستنهاض أهل القوة في طلب النصرة والمنعة؟

م. موسى عبد الشكور الخليل

تجاه ما يعيشه المسلمون من أوضاع معيشية بائسة، ووجود حكام قد أوغلوا في عمالاتهم للغرب الكافر حتى النخاع، وخانوا الله ورسوله ودينه، وباعوا قضايا الأمة... نرى أن الأمة قد استوت لديها فكرة التغيير وأصبحت مطلبها العام وأملها المرجَّى. وهي قد قامت بمحاولات متنوعة من أجل تغيير هذه الأوضاع إلى ما يجعلها أمة عزيزة كريمة؛ ولكنها لم تُحصِّل حتى الآن مسعاها، وكان أن دفعت الثمن غاليًا؛ فقد قامت فيها جماعات مسلحة وخاضت مع الدول التي هي فيها معارك كرٍّ وفرٍّ وقامت بتفجيرات واغتيالات أدَّت إلى استشراس أنظمة الحكم وزيادة إجرامها بحق المسلمين، وبالتالي زيادة مآسيهم من غير أن تحقق هذه الجماعات المسلحة هدفها... وكذلك قامت فيها ثورات نزلت فيها الأمة بالملايين تريد التغيير، فلم يألُ الحكام في الأمة: قتلًا وتشريدًا واعتقالًا وتعذيبًا وتضييقًا ما أدى إلى شعور الناس بعدم قدرتهم على تحقيق مرادهم في التغيير، وأنه ينقصهم شيء ما... وقد كان رد فعل أنظمة الدول شنيعًا وممعنًا في تعميم المآسي على شعوبهم، مع تركيز إعلامي على تشويه سمعة إسلام الحكم وتشويه سمعة العاملين له، كون إقامة الحكم بالإسلام كان هو أساس مطلب ومقصد تحركات الأمة وتلك الجماعات. هذا ولم يخفَ على أحد أن الغرب كان هو الذي يدير تلك المواجهة الشرسة المجرمة من وراء حجاب والحكام كانوا خنجره المسموم.

هنا يأتي الحديث في مقالنا هذا عن دور الجيوش في عملية التغيير. فالجماعات التي قامت من أجل التغيير عن طريق الأعمال المسلحة نظرت للجيوش نظرة سلبية مطلقة، وأعطتهم حكم الحاكم بالعداء المطلق لهم مستشهدين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَاطِئِينَ﴾. أما الثورات فإنها ركَّزت على تغيير الحاكم، ولم تدخل الجيوش في حساباتها للتغيير. والحق يقال إن عملية التغيير لا بدَّ لها من قوة، وإذا كانت عملية التغيير شرعية فلا بد من أن يكون استعمال القوة شرعيًا. فكيف يريدنا الشرع أن نستعمل القوة في عملية التغيير؟.

قبل الخوض في الموضوع، لا بد من الوقوف أمام حقيقة ثابتة، وهي أن دور الجيوش في الدول إنما هو دور تأمين الحماية من أي عدوان خارجي، وإيجاد الأمان في الدولة، وليس من عملها الحكم، فالجيوش ليست مؤهلة للحكم، وطبيعة نشأة ضباطها يعتمد على القوة والغلبة، وليس رعاية الشؤون وسياسة الناس، فهي تحافظ على نظام الحكم الدستوري في الدول، وتأتمر عادة بأوامر القيادة السياسية...

وهناك حقيقة ثابتة أخرى في الجيوش، وهي أنها صارت في هذا العصر جيوشًا نظامية متخصِّصة ومحترفة في القتال: تسليحًا وتمويلًا وتدريبًا وتخطيطًا... تستخدم الطيران والدبابات والصواريخ والغواصات وغيرها من الأسلحة المكلفة جدًا والتي لا تستطيع توفيرها ولا استعمالها الجماعات المسلحة التي تريد التغيير بالسلاح؛ وهذا ما يضطرها من أجل مواجهة هذه الجيوش إلى الوقوع في الفخ ومد اليد إلى دول وأنظمة عميلة أخرى لا تقل سوءًا عن تلك التي تواجهها لتستعين بها على التغيير...

وهناك حقيقة ثابتة أخرى متعلقة بالجيوش، وهي أن عامة أبناء الجيوش اليوم هم من أبناء المسلمين، ولا يجوز أن ينظر إليهم على أنهم أعداء للأمة وفي صف الحكام، بل هم جزء من الأمة الإسلامية، فيهم الصالح وفيهم الطالح وما يصيب الأمة الإسلامية يصيب الجيوش، وما يحصل من تغيير في الأمة الإسلامية يحصل في الجيوش، والصعوبة التي نلاقيها في تغيير الأمة الإسلامية هي نفس الصعوبة في تغيير الجيوش، فهم يشعرون بخيانة الحكام مثلما يرى الناس خيانة الحكام، فأفراد الجيش وضباطه عامة هم مسلمون، ولديهم أحاسيس ومشاعر وتشوُّق للجهاد والتحرير، والحاكم يخافهم ويخاف انقلابهم عليه؛ لذلك هو يقودهم بضباط قادة تربوا على مقاس الحكام ولبسوا مثلهم ثوب الخيانة، وتم شراؤهم وأخذ الولاء منهم وإغداق الأموال عليهم ليكونوا في صفهم وضد الأمة؛ فمشكلتنا مع قادة الجيوش ومصدِّري الأوامر منهم، ومع الثقافة التي يحملونها حيث تم تثقيفهم بثقافة العداء للإسلام ومحاربته، والولاء للحاكم، والمحافظة على عرشه، والمحافظة على حدود سايكس بيكو؛ من هنا يتضح أن عدم تحرك الجنود لنصرة قضايا المسلمين ليس سببه الكفر أو حب قتل المسلمين، وإنما هو الخوف الذي يوجد مثله عند أفراد الأمة الإسلامية، ويوجد الكثير الكثير منهم مثل أفراد الأمة يتحرَّقون شوقًا للقضاء على الحكام وقتال الكفار... ومع هذا نقول بأن كل عنصر في الجيش، أفرادًا وضباطًا، يسأله ربه عن كل موقف غير شرعي يقفه ضد المسلمين، أو في طاعة الحاكم في إجرامه، أو في تدعيم ملكه حتى ولو كان مجبورًا... فالمسألة هنا متعلقة بأن هؤلاء ليسوا بكفار، وأنهم لا يأخذون حكم الحاكم في العداء، بل يجب أن يؤخذوا إلى جانب الدعوة وإقامة الدولة، وهذا ما يخافه الحاكم منهم أن ينقلبوا عليه؛ لذلك يزرع جواسيسه عليهم حتى لا يأتيه الضرر منهم. ونحن نقدم للحاكم خدمة عندما نجعلهم في صفه هكذا بالجملة.

أما ما هو موقف الشرع من استعمال القوة والاستنصار بالجيوش في عملية التغيير؛ فهذا ما يجب البحث عنه وطلب النصرة على أساسه. فالرسول ﷺ استعان بأهل القوة، والقرآن ذكرهم ومدحهم، والشرع جعل لهم مهمة النصرة في إقامة الدولة، والجهاد فيما بعد إقامتها، وفي كلا الحالين جعل لهم من الأجر ما لا يحصيه إلا الله.

ونحن إذا انطلقنا من هذا الواقع لنطبق الحكم الشرعي في طلب النصرة كما فعل ذلك ﷺ حيث داوم على طلبها من أهل القوة، قائلًا: «**مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ عَنْ رَبِّي؟**» مبيِّنًا

من خلال طلبها: أين تكون القوة، ومعنى النصرة، وممن تطلب. والله سبحانه أمر أصحاب القوة من المسلمين الدفاع عن المسلمين إذا ما استنصروهم في دينهم فقال سبحانه: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾.

فالنصرة التي كان يطلبها ﷺ إنما كانت من أجل نصرة الدين وإقامته في واقع الحياة بدولة تطبقه وتبلغه، ولم يكن يطلب النصرة فقط لحمايته هو شخصيًا ومن آمنوا معه... وهي لم تكن مجرد دعوة للدخول في الإسلام بل فهمت القبائل التي طلب الرسول منها النصرة أن الأمر يتعلق بإقامة كيان وقتال ودولة؛ حيث كان رد بني عامر بن صعصعة على طلب الرسول ﷺ لنصرتهم: «أرأيتَ إنْ نَحْنُ **بَايَعْنَاكَ** عَلَى أَمْرِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، **أَيَكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟**» قَالَ: «**الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**». فقالوا لَهُ: «أفَتُهدَف نحورُنا لِلْعَرَبِ دُونَكَ، **فَإِذَا أَظْهَرَكَ اللَّهُ كَانَ الْأَمْرُ لِغَيْرِنَا! لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ؛** فَأَبَوْا عَلَيْهِ»، أي أنهم كانوا يعرفون أن النصرة هي لإقامة دولة، فأرادوا أن يكونوا هم حكامَها من بعد رسول الله ﷺ. وكذلك كان رد بني شيبان للرسول ﷺ عندما طلب نصرتهم حيث أدركوا أن النصرة تعني حكمًا وجهادًا للعرب والعجم، فوافقوا على قتال العرب، أما قتال الفرس فرفضوا... فالأمر هو الحكم والسلطان، فواضح أن تلك القبائل أدركت أن الرسول ﷺ يطلب منها الأمر والسلطان حين يعرض نفسه عليهم ليسلموه الحكم، وهو ﷺ أقرَّهم على فهمهم هذا.

وقد كشفت بيعة العقبة الثانية حقيقة النصرة التي كان يطلبها النبي الكريم ﷺ وهي تقتضي استلام الحكم، عن عبادة بن الصامت قال: «**دَعَانَا النَّبِيُّ، فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**» رواه البخاري. وقوله ﷺ: « **بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ... وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ**» فالبيعة هنا ليست متعلقة بأمر النبوَّة، بل بالحكم والسلطان، وقد ظهر ذلك من جواب سعد رضي الله عنه حيث قال: أيها الناس أتدرون على ما تبايعون؟ والله إنكم لتبايعون على قتال الأحمر والأسود من الناس، واللهِ لترمينَّكم العرب والعجم عن قوس واحدة...

ورسولنا الكريم الموحى إليه هو قدوتنا وأسوتنا في إقامة الدولة الإسلامية، وفي مخاطبة أهل القوة؛ لذا وجب علينا الاتصال بأهل القوة لإقامة هذا الفرض الذي يعتبر مفتاح الخير الذي يفتح باب الدولة الإسلامية الموصد. فالفرض هذا قد داوم الرسول ﷺ على طلبه ست عشرة مرة أو يزيد، وعليه يجب العمل على طلب النصرة من أهلها في بلاد المسلمين دون الالتزام بعدد مرات أو بجدولٍ زمنيٍّ، بل يستمر ذلك حتى يتحقق الأمر وتزال كل العوائق أمام عودة الأمة إلى دورها في الحياة في تعبيد الناس لله رب العالمين عبر الدعوة والجهاد، وإزالة كل من يحاول منع إقامة الفروض الشرعية التي تزاحمت، والخلاص منه كائنًا من كان.

إن على أهل القوة والمنعة أن يدركوا أنهم مكلفون لإقامة هذا الفرض، وحمايته وتمكين القائمين به من الحكم بما أنزل الله والجهاد

وإرهاب العدو... وعليهم أن يعرفوا أنهم أهل حرب وليسوا أهل حكم، وعليهم أن ينظروا إلى أن مهمة إقامة الخلافة على عظمها، فإنها بعد إقامتها أصعب وأشقُّ. والمسألة ليست متعلقة بمن يحكم، وإنما بوجوب الحكم بما أنزل الله. وحزب التحرير ليس طالب سلطة، وليست عنده شهوة الحكم، ولو كان كذلك لما سار في أصعب طريق، وهو طريق الرسول ﷺ، ولما صبر كل هذا الصبر، ولما تحمَّل ما لا تستطيع الجبال أن تتحمَّله، ولكان ساوم وباع واشترى؛ ولكنه الإيمان بالله، وبوعده الذي يطمع أن يناله هو وشبابه بأن تقوم الخلافة الراشدة الثانية التي بشر بها الرسول أنها تكون في آخر الزمان، وأنها تكون على منهاج النبوة بقوله: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**» بأن تقوم على يديه، فأي شرف هذا الذي يناله؟! وأي منزلة عند الله يبلغها بهذا العمل؟!

إن إقامة الخلافة في آخر الزمان كل الإرهاصات تشير إلى قرب انبلاجها، وإن الأمة لتتحضر للقيام بواجبها، وإن الغرب ليحتضر بحضارته التي ما ولَّدت وما أنبتت إلا الشر، وما نشرت إلا الضلال والإضلال، وأن علينا واجب سرعة دفنها... فهنيئًا لمن كانت له يد في إقامة الخلافة الراشدة التي تكون على منهاج النبوة.

إن ما يريده الغرب الكافر المستعمر هو أن يخاف أهل القوة من أهل الحق من المسلمين أن ينصروا دين الله، وخوفه هذا ليس من فراغ، إنما مرده أنه لا يثق بهم حتى وهو يملك قياداتهم؛ لذلك هو يسلط عليهم جواسيسه ليمنعهم من نصرة دينه، ويسلط عليهم إعلامه ليحرف بوصلتهم فينصرون باطله ويحاربون الحق معه؛ لذلك يقبع الغرب وهو متربص خائف من أن تقوم للمسلمين قائمتهم وهو غافل عنهم؛ لأنه لا يعرف من أي صوب سيخرجون إليه... على كل حال، نحن على موعد مع نصر الله فيه إعجاز تدخل من الله كما تعوَّدنا منه سبحانه مع أنبيائه.

وفي الختام نقول: إن في أهل القوة الخير الكثير، ولا غنى عنهم في التغيير، وعندما يأذن الله بفرجه سيلتقي أهل النصرة مع جحافل المسلمين يقودهم خليفة المسلمين على أمر قد قدر؛ ليقوموا باستعادة سلطان الأمة المسلوب، وبعدها ينتظر المسلمون وأهل القوة الكثير من الأعباء في نصرة الدين وحماية الدولة وإقامة الجهاد في سبيل الله...

إن الجيوش ثروة هائلة وكبيرة للأمة الإسلامية يجب تحريرها من قادتها الخونة، فالقضية إذا وعاها أهل القوة والمنعة بأنها قضية إقامة الدين بإقامة دولته، وأنها واجب شرعي يحقق العزة للإسلام والمسلمين ويقود إلى نوال رضوان الله؛ فإنهم سيضحون ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. وما دامت قد قامت الدولة الإسلامية الأولى بهم، فبهم تقام الدولة الإسلامية الثانية. وإنها لسوف تعود، بإذن الله تعالى، دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة من جديد وستلقى نصرةً وأنصارًا وحكمًا وجهادًا حتى ليقول المسلمون جميعًا لقد صدق الله رسوله البشرى: «**ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة**» وأنعم بها بشرى حق. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

استعادة سلطان الأمة بإسقاط الأنظمة وإقامة دولة الخلافة(١)

المهندس :ناصر وحان اللهبي - اليمن

سُلبت الأمة سلطانها منذ سقوط آخر خليفة للمسلمين في دولة الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م، والتي حكمت عدة قرون. والسلطان في دولة الخلافة جعله الشرع بيد الأمة الإسلامية كحق شرعي من حقوقها، ولم يكن نتيجة صراع سياسي على السلطة، أو حق انتخابي كفله لها الدستور ليحافظ على توازن الحكم ما بين الحاكم والمحكوم، أو استحقاق دستوري من وضع البشر كما تقول الديمقراطية؛ بل هو حكم شرعي مبني على أحكام شرعية، كالحقوق العامة، وحق البيعة، وحق الشورى والمحاسبة والطاعة للحاكم الشرعي، وعدم الطاعة لمغتصب السلطة، والذي يجب قتاله إذا رفض التنحَّي عن الحكم أو رفض تصحيح الغصب بأن يطلب البيعة من الأمة؛ فإن بايعته فقد تم إعادة السلطان للأمة، وإن رفضته فقد تمَّ أيضًا إعادة السلطان للأمة... فالأمة هي التي عليها شرعًا أن تعيِّن سلطانها.

إن أدلة البيعة والشورى والطاعة وأحكام الخروج على الحاكم الذي أظهر الكفر البواح وغيرها من الأحكام الشرعية... هي أدلة يحفل بها القرآن، وهي كانت واضحة جلية في سنَّة النبي ﷺ وسيرته، وهي كانت مطبَّقة بشكل ظاهر في عهد الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعد الرسول ﷺ، ويجب تطبيقها في كل عهود المسلمين، ويحسن تطبيقها إرضاء لله سبحانه وتعالى وضمانًا لحق الأمة في ممارسة سلطانها. فالسلطان للأمة يحاسبها الله عليه إن مارسته، وإن قصرت به؛ لذلك على الأمة أن تحافظ على حقها في البيعة والمحاسبة... وعن واجبها في الطاعة والنصرة والولاء...

وقد حصل انحراف في قضية السلطان للأمة في مختلف عهود الحكم، وأولها قضية ولاية الحكم، وعلى الأمة اليوم أن تستعيد الحكم بما أنزل الله، وتستعيد فيه السلطان بوضع قواعد ونهج مبنيٍّ على الأدلة الشرعية تكون فيه «**السيادة للشرع والسلطان للأمة**» كأحد قواعد نظام الحكم في الإسلام... وعلى الأمة كذلك الرفض القاطع لسلبها سلطانها أو إكراهها وإجبارها على بيعة حاكمها أو تزييف إرادتها بالترغيب أو الترهيب أو التزوير، أو أخذ السلطة بالانقلاب والغصب، أو بالغلبة والقوة...

ولقد أدرك أعداء الأمة من الغرب الرأسمالي الكافر الذي يتحكَّم بمقاليد الحكم في بلاد المسلمين قوة القاعدة الشرعية «**السيادة للشرع والسلطان للأمة**» وقوة صيانة الحكم الإسلامي وضوابطه بأن يكون السلطان بيد الأمة، فاتخذوا خططًا وأساليب لمنع الأمة من ممارسة حقها الشرعي هذا، وأوجدوا (السلطان المصطنع) وهو سلطان غير حقيقي (مزيف)

من صنع الكافر المستعمر لغاية إبعاد الأمة عن تحكيم دينها، وخدمة مصالح هؤلاء الأعداء من قبل حكام متسلِّطين على رقاب الأمة؛ ليتحكموا من ورائهم في شؤون البلاد والعباد، ويغيروا الأفكار والثقافات، وينهبوا الثروات، ويؤخروا الأمة في جميع مجالات الحياة، ويمنعوها من اكتساب القوة... وأعدُّوا من أجل حماية هذا التغيير المصطنع الجيوش والقوى المؤثرة في المجتمع لحماية هذا السلطان المزيف، وصنعوا الرموز (الدمى) من حكام ووسطهم السياسي لإيهام الأمة الإسلامية أن الحكم بيدها، أو أنها تمارس حقَّها في اختيار الحاكم وفي إعطائها السلطان له!!

ومع هذا المفهوم الشرعي الصحيح الذي يعطي للأمة السلطان ويجعل الحاكم يحكم باسمها نيابة عنها، ومع هذا الواقع الخاطئ الذي فرضه الغرب الكافر الذي يقوم فكره على فصل الدين عن الحياة... قيَّض الله سبحانه وتعالى، بفضل منه ومنَّة، لهذه الأمة من أهل الايمان والفكر المستنير والعلم الشرعي القويم، من تبنَّى منهاجًا لكيفية إقامة سلطان الإسلام بناء على الأدلة الشرعية، وهو «**حزب التحرير**» لاستئناف الحياة الإسلامية بقواعدها وطريقتها المستقيمة التي لا عوج فيها، والعمل على إيجاد الحكم بما أنزل الله تعالى عن طريق إقامة دولة الخلافة الراشدة الثانية التي سوف يكون السلطان فيها للأمة، والتي تضع حدًّا لكل مؤامرات أعداء الله تعالى من صليبيين وصهاينة وعملائهم ومنافقيهم وأذنابهم ومن لفَّ لفَّهم، والقضاء على كل مخططاتهم لإقصاء الإسلام عن الحكم.

السلطان في اللغة العربية :

السلطان من السلاطة التي هي الانبساط بالقوة، وهو مشتق من اللفظة (سلط) التي تفيد معنى القوة والقهر، ومن (السلط) الذي هو القهر والسلطان، وهو الحجة. فالسلطان: قوة ونفوذ وسيطرة وتمكين. ووردت لفظة السلطان بمعنى الحاكم والوالي والخليفة والرئيس، فسلط الرجل: أي أطلق له السلطان والقوة والقدرة، وسلطه عليه: مكَّنه وحكَّمه وجعل له سلطة عليه. والسلطان: صاحب الأمر والكلمة النافذة، وهو: قدرة من جعل ذلك له وإن لم يكن ملكًا كقولك: قد جعلت لك سلطانًا على أخذ حقي من فلان. ويسمى السلطان ذو البصائر لتنويره الأرض وكثرة الانتفاع به، أو لأنه بمعنى الحجة، وإنما قيل للخليفة ذو سلطان أي ذو الحجة، وقيل لأنه به تقام الحجج والحقوق.

قال أبو بكر: في السلطان قولان: أحدهما أن يكون يسمى لتسليطه، والآخر أن يكون سمي لأنه حجة من حجج الله، ويؤيده الحديث: «السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فان عدل كان له الأجر»... وقال الفراء : إن السلطان يذكر ويؤنث: والسلطان عند العرب: الحجة، فمن ذكَّره ذهب به إلى معنى الرجل، ومن أنَّثه ذهب به إلى معنى الحجة... وقيل السلطان: القوة على تنفيذ الأمر. وقيل: القدرة على تنفيذ الأمر.

السلطان في القرآن الكريم:

ورد لفظ (السلطان) في القرآن الكريم في تسعة وثلاثين موضعًا، جاء في موضعين بصيغة الفعل، أحدهما: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، ثانيهما: قوله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [الحشر: ٦] وجاء في سبعة وثلاثين موضعًا بصيغة الاسم، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [الأعراف: ٧١]. هذا وقد وردت لفظة السلطان بمعنيين في القرآن الكريم:

الأول: الحجة والبرهان:

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨] أي: ما عندكم من حجة بهذا. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: ٧١] أي: ما جعل الله لكم في عبادتكم آلهتكم من حجَّة تحتجُّون بها، ولا معذرة تعتذرون بها؛ لأن العبادة إنما هي لمن ضرَّ ونفع، وأثاب على الطاعة، وعاقب على المعصية، ورزق ومنع. ومن هذا الباب قوله عز وجل: ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾. [الحاقة: ٢٩] قال ابن عباس رضي الله عنهما: هلكت عني حجتي. وهو قول كثير من التابعين، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٩٦] أي بحجة بيِّنة وهي العصا، وقيل: أي المعجزات من العصا وغيرها.

الثاني: السلطان: التسلُّط والقهر:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [سبأ: ٢١] أي: ما كان لإبليس من تسلط وقهر وقسر على ما يريده منهم. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢] أي: وما كان لي من قوة أقهركم بها في الدنيا على الكفر والضلال؛ لكن دعوتكم إلى الكفر وزينت لكم المعاصي، فسارعتم إلى اتباعي فلا تلوموني على ما حصل لكم من الضلال ولوموا أنفسكم فهي أولى باللوم. ومنه أيضًا قوله سبحانه: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم». وقال الزمخشري: ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ يعنى: بقوة وقهر وغلبة» قال البغوي: «السلطان: القوة التي يُتسلط بها على الأمر»، وقال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾. [الاسراء: ٣٣] أي: جعلنا له قدرة على الأمر: إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولا يجوز لأحد إجباره أو إكراهه أو أخذ سلطانه من حقه في الدم. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا

سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ [النحل: ١٠٠] أي قدرة وسبيل.

وحاصل القول: إن لفظ ﴿السُّلْطَان﴾ أكثر ما جاء في القرآن بمعنى الحجة والبيِّنة والبرهان، وجاء على نحو أقل بمعنى القهر والتسلط والقوة، ولم يأتِ لفظ ﴿السُّلْطَان﴾ في القرآن بمعنى الحاكم والقائم على أمر الناس.

السلطان في السنة النبوية:

وردت لفظة السلطان في السنة النبوية بمعنى الحاكم والوالي والرئيس في عدة أحاديث نبوية، بل أكدت ربط السلطان بظل الله في الأرض، وكذا سلطان الله، وحجة الله، ونهى الله عز وجل العلماء عن إتيان أبواب السلاطين، وحرَّم ذلك لما لهؤلاء السلاطين من نفوذ وقوة ومال وأساليب استقطاب لمدحهم والوقوف معهم وتزيين أعمالهم والفتوى المفصلة على مقاسهم!!.

فقد أخرج أو داود، والبيهقي، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**من بدا فقد جفا، ومن اتَّبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلاطين افتُتن، وما ازداد عبد من السلطان دنوًّا إلا ازداد من الله بعدًا**». وأخرج ابن عدي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في جهنم واديًا تستعيذ منه كل يوم سبعين مرة، أعدَّه الله للقراء المرائين في أعمالهم وإن أبغض الخلق إلى الله عالم السلطان**». وأخرج الديلمي في «مسند الفردوس» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص**». وأخرج الترمذي وصححه، والنسائي، والحاكم وصححه، قال رسول الله ﷺ: «**سيكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، وليس بواردٍ عليَّ الحوض. ومن لم يدخل عليهم، ولم يُعِنْهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني وأنا منه، وهو واردٌ عليَّ الحوض**». وأخرج الحسن بن سفيان في مسنده، والحاكم في تاريخه، وأبو نعيم، والعقيلي، والديلمي، والرافعي في تاريخه، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوا السلطان، فقد خانوا الرسل فاحذروهم، واعتزلوهم**». وأخرج الحاكم، عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**سيكون بعدي سلاطين، الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل، لا يعطون أحدًا شيئًا، إلا أخذوا من دينه مثله**». وأخرج البيهقي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: «**اتقوا أبواب السلطان**». وما روي عن زياد بن كسيب العدوي قال: «كنت مع أبي بكرة رضي الله عنه تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبو بكرة: اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أهان سلطان الله في الأرض، أهانه الله**» [يراجع نظام الحكم في الإسلام، للشيخ تقي الدين النبهاني، مؤسس حزب التحرير، وعبد القديم زلوم، الطبعة السادسة، (معتمدة) ٢٠٠٢م]. وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله

ﷺ: «**إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**». [يراجع كتاب الدولة الإسلامية، لتقي الدين النبهاني، دار الأمة بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣- الطبعة السابعة (معتمدة) ٢٠٠٢م]. وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا». وقال الفضيل بن عياض: «لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام؛ لأن به صلاح الرعية، فإذا صلح أمنت العباد والبلاد»، وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: «لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم».

قاعدة «السيادة للشرع، والسلطان للأمة»

إن العقيدة الإسلامية تفرض على المسلمين الاعتقاد، وهو التصديق الجازم الذي لا شك ولا ريب فيه، أن الله وحده هو الحاكم، وله حق الأمر والنهي، وله أمر التحليل والتحريم، وله الحاكمية وحده، فالحاكمية لله، والسيادة لشرعه، والسلطان للأمة، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]. وأن لله الأمر والخلق، قال تعالى: ﴿لَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢﴾ [الرعد: ٢] فالأمر والنهي له وحده، ولا يجوز للبشر أن يحكموا إلا بما شرع الله سبحانه وتعالى، وشرع الله هو الوحي المنزَّل على محمد ﷺ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١] ولا يجوز إلا الحكم بما أذن الله تعالى به، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧﴾ [البقرة: ٩٧]، وجميع الأعمال لا تكون إلا بإذن الله تعالى، أي ليس جبرًا عنه، بل بعلمه وأمره ، ولا يجوز مخالفة أمره، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [ابراهيم: ١] .

وبناءً على أمر الله وحكمه كانت الطاعة المطلقة لله عزَّ وجلَّ، والله وحده هو الذي يحدد من نطيعه ومن لا نطيعه. ومن تجب طاعته ومن تحرم، وجعل طاعة من حدَّدهم الله عزَّ وجلَّ من طاعته. فالطاعة لغير الله مشروطة ومقيدة وليست مطلقة، فأمر بطاعة رسله، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤] وقال تعالى في طاعة محمد ﷺ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾. [المائدة: ٩٢] وأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

وأمر الرسول ﷺ بطاعة السلطان، وهو وليُّ الأمر الشرعي، وهو السلطان المبايَع بيعة شرعية على الحكم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه، وعلى أن يطبِّق الإسلام في الداخل ويحمله رسالة إلى العالم بالدعوة والجهاد، أي لا بد

من ثلاثة أمور لطاعة السلطان وهي: (البيعة، والحكم بالإسلام، وشروط الانعقاد) وجعل طاعته من طاعة الله، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩] وطاعة السلطان الكافر أو الظالم اعتبره من الاستخفاف بعقول الناس، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤﴾ [الزخرف: ٥٤].

وجعل الله تعالى طاعة الوالدين من طاعته، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]. وأمر الله المرأة بطاعة زوجها، وجعل ذلك من طاعته، روى ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «**إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت**».

ثم نهى الله عزَّ وجلَّ بل حرم طاعة الكفار والمنافقين، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١﴾ [الأحزاب: ١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ [الفرقان: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨﴾ الأحزاب: ٤٨].

وحرَّم طاعة أصحاب الإثم والفواحش، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤﴾ [الإنسان: ٢٤].

وحرَّم طاعة السلطان الكافر والظالم والفاسق والعاصي ومغتصب السلطة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

وحرَّم طاعة المكذِّبين والآمرين بالمعاصي كطاعة السلطان أو الوالد أو القائد العسكري، قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾. سورة القلم. وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [العنكبوت: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان:١٥].

وحرَّم الله طاعة من منع فروض الله تعالى أو منع حقوق العباد، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ١٩﴾ [العلق: ١٩].

وحرَّم الله طاعة أصحاب الأهواء، قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ [الحجرات: ٧].

والله عزَّ وجلَّ هو مالك الملك، وكل شيء في الكون ملكه وحده، وله خزائن السموات والأرض، وهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، والملك لله ملكًا مطلقًا، وهو الذي يعطي الملك بإذنه لمن يشاء من عباده، وإذن الله للتملك هو الذي يحدد الملكية الخاصة والملكية العامة وملكية الدولة، وكيفية التملك، وما هي الأعيان التي يحل ملكيتها، والأعيان

التي لا يحرم ملكيتها، وما هي أسباب التملك الشرعية، وما هي الأسباب غير الشرعية، وحدَّد بعد التملك التوزيع والتصرف وأحكامهما، وما هي أحكام الأموال الحرام؟

من هنا نصل إلى أن كل ما في الكون هو لله مطلقًا، سواء الملك أم الحكم أم السلطان، وحتى الإنسان وعقله هو ملك لله، فالأصل أن لا يخرج هذا الإنسان عن حكم الله وأمره ونهيه، ولا عن طاعته، ولا عن ملكه، ومن ذلك تولية من يحكم الناس بشرع الله تعالى. وهذا الحاكم بإذن الله هو السلطان بانقياده وشروطه، فلا يحق له التسلُّط أو الحكم أو الأمر أو النهي أو تنفيذ الأحكام وإقامة العقوبات أو تقسيم المال إلا بأن تكون له صفة شرعية. وشرعية الحكم هذه من أين تأتي للسلطان؟ هل تأتي من الحاكم ذاته؟ أم من أسرته؟ أم من قبيلته وحزبه وطائفته؟ أم من الفئة الأقوى في المجتمع؟ أم من أعدائه؟ أم من رجال الدين؟ أم من الشعب؟ أم من الأمة؟ ومن الذي يحدد كيفية تنصيبه؟ وكيفية محاسبته؟ وكيفية عزله؟ وما هي الأسباب الموجبة للعزل؟ ومن هي الجهة التي لها حق عزله؟...

فكما أسلفنا أن الطاعة مطلقة لله، وهو الذي يعيِّن من نطيعه ومن لا نطيعه. وكذا الملك لله وحده، وهو الذي يأذن بالملكية. والحكم له وحده، والسلطان أيضًا له وحده في الكون، وهو الذي يعين ويبين لمن السلطان، ومن الذي يعطيه؟ ومن الذي يمنعه؟ وما شروط السلطان وأحكامه؟...

فالسلطان في الإسلام مقيد بأحكام الشرع، وليس مطلق التنصيب أو الحكم أو الولاية، وهذا حق السلطان أعطاه الله عزَّ وجلَّ في الإسلام للأمة التي تؤمن به، وأمر الأمة المؤمنة بإقامة هذا السلطان بأوامر جمعية في الإسلام ، بصيغة واو الجماعة: «بايعوا» ، «جاهدوا» ، «واقطعوا» ، «واجلدوا.... وإعطاؤه حق السلطان عن طريق الوحي المنزَّل على محمد ﷺ، فكانت الأدلة المتظافرة الدالة على نصب الحاكم (الخليفة) من قبل الأمة، ومن جعل الخليفة يأخذ السلطان بالبيعة، والبيعة هي عقد مراضاة واختيار بين الأمة ومن يحكمها، وتعطي الأمة حقَّها هذا لمن يحكمها بكتاب الله وسنة رسوله، ويطبق الإسلام في الداخل ويحمله رسالة إلى العالم بالدعوة والجهاد، والبيعة تعني تسليم السلطان الذي هو حق الأمة لشخص نائب عنها، ولا يجوز لهذا الشخص أخذ السلطان إلا بهذه البيعة، فمن اغتصب السلطة أو أخذها بالإجبار والإكراه والتزوير، أو أخذها بالاستقواء بالأعداء، أو تم توليته وجعل سلطانه من قبل الكافر المستعمر فلا يصحُّ حكمه، وسلطانه كأن لم يكن، وبالتالي لا تجب طاعته أو نصرته أو الوقوف معه بموقف، أو تكثير سواده، أو تنفيذ أوامره، أو دعمه بمال أو سلاح أو رجال، أو مدحه بالشعر أو الإعلام، أو تزيين صورته وتحسينها أمام الرعية، بل يجب الوقوف في وجهه وتغيير سلطانه...

والأدلة أن السلطان للأمة هي أدلة البيعة، فهي مبنية على قاعدة السلطان للأمة، والمأخوذة من جعل الشرع نصب الخليفة من

قبل الأمة ومن جعل الخليفة يأخذ السلطان بهذه البيعة. أما جعل الشرع نصب الخليفة من قبل الأمة فواضح في أحاديث البيعة، عن عبادة بن الصامت قال: «**بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ**» متفق عليه. وعن جرير بن عبد الله قال: «**بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ**» متفق عليه. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لا يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِدُنْيَاهُ إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ وَإِلاَّ لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ فَأَخَذَهَا وَلَمْ يُعْطَ بِهَا**» متفق عليه. فالبيعة من قبل المسلمين للخليفة وليست من قبل الخليفة للمسلمين، فهم الذين يبايعونه، أي يقيمونه حاكمًا عليهم، وما حصل مع الخلفاء الراشدين أنهم إنما أخذوا البيعة من الأمة، وما صاروا خلفاء إلا بواسطة بيعة الأمة لهم. وأما جعل الخليفة يأخذ السلطان بهذه البيعة فواضح في أحاديث الطاعة، وفي أحاديث وحدة الخلافة. عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**» أخرجه مسلم. وعن نافع قال: قال لي عبد الله بن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**» أخرجه مسلم. وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلاَّ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**» متفق عليه. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**» متفق عليه. فهذه الأحاديث تدل على أن الخليفة إنما أخذ السلطان بهذه البيعة؛ إذ قد أوجب الله طاعته بالبيعة، من بايع إمامًا ... فليطعه. فهو قد أخذ الخلافة بالبيعة، ووجبت طاعته لأنه خليفة قد بويع، فيكون قد أخذ السلطان من الأمة ببيعتها له ووجوب طاعتها لمن بايعته، أي لمن له في عنقها بيعة، وهذا يدل على أن السلطان للأمة. بيد أن الرسول ﷺ مع كونه رسولًا فإنه أخذ البيعة على الناس، وهي بيعة على الحكم والسلطان وليست بيعة على النبوَّة، وأخذها على النساء والرجال ولم يأخذها على الصغار الذين لم يبلغوا الحلم، فكون المسلمين هم الذين يقيمون الخليفة ويبايعونه على العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وكون الخليفة إنما يأخذ السلطان بهذه البيعة، دليل واضح على أن السلطان للأمة تعطيه من تشاء بناء على الأحكام الشرعية المنظمة لذلك. [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

طرق التصدّي لأساليب الاستعمار في الاحتواء والتبعية

حمد طبيب - بيت المقدس

لقد تحدثنا في موضوع سابق عن طرق وأساليب الكفار في إيقاع أبناء المسلمين جماعات وأفرادًا ودولًا في حبائل التبعية والعمالة والولاء السياسي؛ وذلك ليسهل عليهم السيطرة على بلادنا وثرواتنا ومقدراتنا، ولتبقى أرض المسلمين وسماؤهم وبحارهم مسرحًا ومراحًا لقواتهم العسكرية وبوارجهم وحاملات طائراتهم العملاقة. وقد ذكرنا أساليب عدة يتّبعها هذا المستعمر المجرم للسيطرة على بلاد المسلمين في كسب ولاء بعض جماعاتهم وأفرادهم. وفي هذا الموضوع سنتحدث عن الأساليب المعاكسة المضادَّة لهذا المستعمر؛ في التصدّي والتحدّي والوقوف في وجهه، وذلك من باب الإرشاد والنصح لأبناء أمة الإسلام؛ خاصة وأننا نعيش هذه الأيام معركةً حامية الوطيس مع هذا المستعمر؛ في اتّباع أساليب ماكرة خبيثة للإيقاع بأبناء المسلمين في حبائله ومؤامراته؛ وذلك لضرب العمل الإسلامي للتغيير، وإعادة الحكم بما أنزل الله، ومحاولة إجهاضه.

وقبل أن نذكر أساليب التحدي والتصدي لأساليب الاستعمار، نريد أن نقف على بعض الحقائق كمقدمة لهذا الموضوع.

الحقيقة الأولى: الكفر كله بكافة ملله ونحله ودوله وأحزابه وأفراده، عدوٌ لأمة الإسلام؛ يخطط باستمرار للقضاء عليها، ويبذل جهده بكافة الأساليب والوسائل والطرق من أجل هذه الغاية الإجرامية الشريرة. وقد شهد رب العزة جل جلاله في أكثر من آية قرآنية على هذه الحقيقة، وأثبتت أحداث التاريخ منذ عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام حتى يومنا هذا صدق هذا الإخبار الإلهي السامي، قال الحق تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[النساء: ١٠١] وقال: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]. وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٩]. وأما حقائق التاريخ فهي كثيرة ومتعددة، وبدأت منذ بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام، واستمرت حتى هدم الخلافة سنة ١٩٢٤م وما زالت حتى يومنا هذا. فقد حاول كفار مكة في بداية الدعوة قبل قيام الدولة الإسلامية، وحاول اليهود والمشركون داخل المدينة وحولها بعد قيام الدولة، حاولوا قتل الرسول عليه الصلاة والسلام أكثر من مرة، لولا أن الله عز وجل عصمه من الناس. وحاولوا كذلك القضاء

على الدولة الوليدة في المدينة المنورة في معركة بدر وفي أحد والخندق وغيرها من الوقائع، ثم كانت محاولات فارس والروم بعد ذلك.

الحقيقة الثانية: بعد فشل الحرب العسكرية والفكرية الصريحة على أمة الإسلام وعلى دين الإسلام، صار الكفار يبدّلون جلودهم في إظهار العداوة، ويبتكرون الأساليب الجديدة لضرب الإسلام والمسلمين. وأخطر أنواع هذه الحرب؛ هي التضليلية وسياسات الاحتواء والتبعية السياسية. وهذا الأمر وإن كان يبتكر أساليب جديدة حسب الواقع والأحداث وطبيعة الصراع؛ إلا أنه نشأ مع بداية الدعوة في مكة المكرمة؛ حيث حاول كفار مكة استمالة الرسول عليه الصلاة والسلام عبر محاولات ماكرة من أجل طمس هويته والتنازل عن فكره الجديد، والرضا بعرَضٍ من الدنيا؛ في منصب أو مال أو سلطان. فقد ذكر ابن هشام في السيرة قال: اجتمع نفر من زعامة مكة مع الرسول عليه الصلاة والسلام عند الكعبة فقالوا له: «يا محمد، إن كنت إنما جئتَ بهذا الحديث تطلب به مالًا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا. وإن كنتَ إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسوّدك علينا (نجعلك سيدنا وزعيمنا)، وإن كنت تريد به ملكًا ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًّا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رئيًّا - فربما كان ذلك، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ»**. وهذه المحاولات في الإيقاع والإسقاط لا تنتهي ولا تقف عند حد؛ فهي مستمرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩].

الحقيقة الثالثة: ازدادت الحرب التضليلية ومحاولات حرف المسار والاحتواء على بلاد المسلمين وعلى أبناء المسلمين، وصار الغرب يؤسس مراكز خاصة من أجل هذه الغاية الماكرة؛ بحيث يقيّم الأمور، ويعمل دراسات متجددة في كل فترة من خلال هذه المراكز؛ وذلك بعد مرحلة صعود الإسلام السياسي في بلاد المسلمين، والتفاف أبناء المسلمين بقوة حول هذا الأمر، لتخليص بلادهم وإنقاذها من الواقع المتردي الذي أوصلهم إليه عملاء الاستعمار من الحكام. وكذلك ازداد التفاف المسلمين حول فكرة الإسلام بعد ظهور عوار رأسمالية الغرب الاقتصادية، وظهور عوار ديمقراطيتهم وحرياتهم. وزاد الغرب حرصًا على احتواء المسلمين بعد التفاف

المسلمين حول الجماعات العاملة للتغيير في بلاد المسلمين، وظهور عوار الحكام الموالين لهذا الغرب في تلك البلاد؛ فصار الكفار يتبنون حتى (فكرة الدولة الإسلامية)؛ بشكل مضلِّل ومحرَّف؛ كما حصل في إيران وباكستان وتركيا والسودان، وفكرة إنشاء جماعات جهادية تحت سيطرة الاستعمار كما حصل في العراق والشام وأفغانستان... وغيرها من المناطق في العالم. وهذا الأمر ربما يستمرّ حتى بعد قيام دولة إسلامية مخلصة في البلاد الإسلامية؛ كمشروع لمحاولة وأدها عن طريق المحيط لهذه الدولة.

هذه بعض الأمور كان لا بد من إلقاء الضوء عليها قبل بيان الأساليب والطرق في التصدي لسياسات الاحتواء والتبعية في بلاد المسلمين. أما طرق التصدي والتحدي للكافر المستعمر في محاولاته للاحتواء وحرف المسار، فإننا نوجزها ضمن الأمور التالية:

١- الفهم والوعي وبعد النظر والإحاطة:

ونقصد بهذه الأمور، الفهم للإسلام عقيدةً وأحكامًا؛ لأنه هو القاعدة القوية والجدار الصلب وصمَّام الأمان الأول لأي فرد من أبناء أمة الإسلام، أو الجماعات أو حتى الدولة الإسلامية عند قيامها. فالله تعالى، ورسوله عليه الصلاة والسلام، وصحابته من بعده قد أرشدوا إلى ضرورة الوعي والإحاطة والفهم النيِّر الصحيح. فالله سبحانه أرشدنا في آيات كثيرة إلى ضرورة الفهم والإحاطة فيما يعترض المسلمين من أمور. قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء: ٨٣]. فهذه الآية وإن كانت تتحدث عن فئة معينة؛ هي فئة النفاق؛ إلا أن فيها إرشادًا لباقي المسلمين، وهو الوقوف على الأمور بشكل صحيح، قبل أي تصرف وعدم الانجرار العاطفي بسرعة، خاصة أن الكفار يتلوّنون ويغيِّرون جلودهم للإيقاع بالمسلمين، وحرف مسارهم. والأصل أن تَرَدّ الأحداث والوقائع إلى حكم الله ورسوله عن طريق أهل الفهم والوعي والإحاطة. ومن الفهم كذلك معرفة ما يخطط له الكفار بشكل دائم، وأنهم لا يريدون خيرًا بأمة الإسلام أفرادًا وجماعات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦]. ومن الإحاطة معرفة ما يجري حول المسلمين من أحداث ومؤامرات وأساليب ماكرة. وهذا ما تحدثت عنه بدايات سورة الروم؛ حيث أخبرت المسلمين في بداية الدعوة عن حدث بعيد عن دائرتهم، وهم في أشد الظروف مضايقة وتعذيبًا وتضييقًا. ومع ذلك لم يهمل الإسلام هذا الجانب من الأخبار والبشارة الربانية. قال تعالى: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ

يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم: ١-٦]. وقد راهن أبو بكر رضي الله عنه الكفار في حدث بعيد عن ديار المسلمين، وأراد أن يثبت لهم الوعي والإحاطة لدى المسلمين في فهم الوقائع والأحداث من خلال دين الإسلام. وفعلًا ربح أبو بكر الرهان في المرة الثانية، وأثبت للكفار بعد النظر والإحاطة على الأحداث عند المسلمين!!. والرسول عليه الصلاة والسلام علمنا كيف نتعامل مع الأمور بفهم ووعي وإدراك وإحاطة؛ فقال عليه الصلاة والسلام في وصف المسلم وموقفه تجاه الأمور وحذره وإحاطته: «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**» متفق عليه، وكان عمر رضي الله عنه يقول: «**لست بالخب، ولا الخب يخدعني**»؛ والخب هنا المخادع المراوغ. وقد كان عليه الصلاة والسلام وأصحابه من بعده يفهمون الواقع فهمًا صحيحًا، ويعونه وعيًا جيدًا، ويجمعون الحقائق عن الكفار؛ فقد جمع الرسول عليه الصلاة والسلام معلومات دقيقة عن تحركات جيش الكفار قبل غزوة بدر الكبرى؛ حيث أرسل بسبس بن عمرو الجهنيّ، وعديّ بن أبي الزغباء الجهنيّ ليأتياه بخبر القوم، وتحركاتهم العسكرية. وأرسل من يجمع المعلومات في مخيم الكفار في غزوة الأحزاب فقال: «**أَلَا بِرَجُلٍ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»، ثم أمر حذيفة رضي الله عنه لهذه المهمة. وأرسل عليه الصلاة والسلام الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه؛ يتعلم لغة اليهود ليعرف أخبارهم، ويقرأ رسائلهم، قال رضي الله عنه: «**أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَتَعَلّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ، وَقَالَ إِنِّي وَالله مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي، قالَ: فَمَا مَرّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتّى تَعَلّمْتُهُ**». وكان خلفاؤه كذلك على قدر من المعرفة والإحاطة والمتابعة لتحركات الجيوش؛ في الشام وفي العراق وبلاد فارس وفي فتح القدس حيث كانوا على منهج رسولهم في الفهم والإحاطة والمعرفة.

٢- **الحذر من الكفار** بشكل عام، **وعدم طاعتهم** في أي أمر، حتى لو أمروا بمعروف، ونهوا عن منكر، **وعدم الانضمام** لمؤسساتهم الدولية أو الإقليمية، حتى وإن ادَّعت الأهداف النبيلة والغايات السامية ما دامت هذه المؤسسات تحت قيادته وسلطانه. وأيضًا **عدم مشاركتهم** في أي حرب؛ حتى وإن كانت ضد دولة عدوة للمسلمين، من دولة معاهدة أو مسالمة من الكفار. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠﴾ [آل عمران: ١٠٠]. فعصبة الأمم هي مؤسسة أنشئت لضرب الدولة الإسلامية، وجمعت فيها دول عدة لهذه الغاية سنة ١٩١٩م بعد الحرب العالمية الأولى، وامتدَّ الأمر إلى هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها الدولية، التي أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م. فالأصل هو عدم مشاركة هذه المؤسسات حتى وإن

دعت إلى معروف ونهت عن منكر؛ لأن هذا الأمر يكون مغلّفًا بغايات خبيثة ماكرة؛ تهدف إلى ضرب الإسلام والمسلمين ومشاريعهم في التغيير. وقد شاركت تركيا بعض الدول الأوروبية في الحرب العالمية الأولى، فسخَّرتها هذه الدول في غايات لا تخدم المسلمين أبدًا، وكانت سببًا في تحطيمها عسكريًّا، ووقوعها تحت رحمة الكفار ثم تفككها وانهيارها.

وقد ضرب لنا الحق تعالى مثلًا واضحًا في قصة مسجد الضرار؛ حيث أراد المنافقون ومن وراءهم من الكفار، ضرب المسلمين في عقر دارهم؛ وذلك عن طريق عمل خير هو بناء مسجد! فكان العمل الظاهر فيه الخير، ولكنه مبطَّن بعمل شرير، هو الحرب على المؤمنين وقتلهم. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨].

٣- الوقوف في وجه الكفار ومحاولاتهم لبسط سلطانهم على بلاد المسلمين من خلال المساعدات المادية أو العسكرية والحماية، وما شابه ذلك من أعمال ظاهرها فيه الخير، وباطنها فيه الشر والمكيدة والحرب. فالله عز وجل شهد بأن كل درهم ينفقه الكفار في بلاد المسلمين هو للقضاء عليهم وضربهم في دينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال: ٣٦]. وقد كان عليه الصلاة والسلام يدعو الله عز وجل فيقول: «**اللَّهُمَّ، لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ وَلَا لِفَاسِقٍ عِنْدِي يَدًا وَلَا نِعْمَةً، فَإِنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أَوْحَيْتَهُ إِلَيَّ ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾**». وأخذ القروض أو المساعدات من الكفار يجعل لهم طاعة علينا، وشروطًا يشترطونها، والله سبحانه نهى عن طاعتهم، ونهى أن يكون لهم سلطان من الطاعة أو غيرها علينا، قال تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٤١].

٤- التصدِّي لمحاولات الكفار في تقصدها للجماعات الإسلامية لإشراكها في الحكم؛ لتكون جزءًا من الفساد الموجود، وتدافع عنه. وهذا الأمر هو من أخطر سياسات الاحتواء. والأصل عدم طاعة هؤلاء الكفار في شراكاتهم ولا حكوماتهم في البلاد الإسلامية؛ فالله عز وجل أمرنا فقال: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ [هود: ١١٣]. وقد نجح الكفار نجاحًا كبيرًا في حرف وتضليل الثورة في مصر؛ عن طريق مسرحية مشاركة الإخوان المسلمين في الحكم، وكانت مؤامرة لم يدرك القائمون على الأمر أخطارها. ونجحوا كذلك في إشراك حركة النهضة في

الحكم في تونس، ومن ثم العمل على إجهاض أهداف الثورة العليا في التغيير وإزالة الفساد، فصارت مشاركة للفساد من الوجوه القديمة بدل إزالتها. واستطاع الكفار ترسيخ الفساد من بعض الأمور كالحريات وفساد الأخلاق.

٥- توعية المسلمين على حقيقة الدولة الإسلامية؛ حتى يصبح هذا الأمر واضحًا عند عامة المسلمين، وأوساطهم السياسية، ومراكز القوى والتأثير في الأمة؛ لأنه كما ذكرنا، فإن الاستعمار يحاول تضليل المسلمين، وحرفهم عن هدفهم السامي الصحيح. ومن هذا التضليل (فكرة الدولة الإسلامية)؛ إما بالكذب الصريح بأن بعض البلاد هي دول إسلامية مثل السودان وباكستان وتركيا، ومنه أيضًا الكذب بأن بعض التنظيمات العسكرية هي دولة إسلامية؛ كما حصل في دولة العراق والشام، ومنه كذلك فكرة التدرج في تطبيق الإسلام، ومنه أيضًا ما ذكره بعض المشايخ من أن فكرة الدولة الواحدة ليست واردة، وليست شرعية، ولم تطبق في التاريخ الإسلامي، وإنما هي دول إقليمية!؛ لذلك يجب توعية المسلمين على هذه الحقيقة بشكل جيد لئلّا يُخدع المسلمون بها، وكي لا يقعوا فريسة التضليل الفكري والسياسي.

٦- بث روح الأمل في نفوس الأمة وتذكيرها بماضيها باستمرار، وترسيخ الوصف القرآني لها، وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام؛ حتى لا تنهار أمام محاولات الكفار، وحتى تبقى واقفة على أقدامها لا تلين أمام ضرباتهم. نذكرها بقول المولى عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠]، وحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ، وَالدِّينِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ**» رواه الإمام أحمد، وبأنها ستفتح الأرض مشارقها ومغاربها، ومنها روما مهد الفاتيكان. فنذكرها بقوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ**». رواه الإمام مسلم، وقوله عليه الصلاة والسلام عندما سئل عن فتح روما والقسطنطينية؛ كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ قَالَ: فَدَعَا بِصُنْدُوقٍ طُهْمٍ - وَالطُّهْمُ الْخَلَقُ - فَأَخْرَجَ مِنْهَا كِتَابًا فَنَظَرَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ مَا قَالَ: فَسُئِلَ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوِ الرُّومِيَّةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا - يَعْنِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ**». فالضربات التي حصلت وما زالت تحصل بين ظهراني الأمة قاسية وكبيرة، ويهدف الكفار من خلالها تحطيم آمال الأمة وحيويتها وانطلاقها نحو أهدافها السامية. وقد فعل الكفر أفعالًا كبيرة من القتل والدمار؛ كان الهدف منها بث

روح اليأس وبالتالي الارتماء في مخططاته والرضا بحلوله للعالم الإسلامي، فقد حاول تحطيم الأمة بعد ما حصل من هزيمة اليهود للجيوش الستة سنة ١٩٦٧م. وحاول كذلك تحطيم معنويات المسلمين بعد حرب العراق وأفغانستان. ويحاول اليوم تحطيم معنويات المسلمين في عمل دؤوب من أجل قبول المجاهدين الأفغان بشروط الدول الكافرة، وهيئة الأمم المتحدة، وإن شاء الله يبوء بالفشل. إن بثَّ روح الأمل يكون عن طريق كشف المؤامرات أولًا، وبأن وراءها عملاء الاستعمار، وليس وراءها أناس مخلصون، وبأن هذه الهزائم ليست حقيقية وإنما هي ضمن مؤامرات الكفار وعملائهم.

٧- بث فكرة العمل الجماعي في الأمة، وأن سبيل الخلاص هو بالتفافها حول المخلصين من أبنائها، لا الالتفاف حول عملاء الاستعمار، ولا حول الأحزاب السياسية المشاركة في الحكم أو العميلة للحكام.

فيجب باستمرار بث روح العمل الجماعي خلف المخلصين من أبناء الأمة. والمخلصون هم من يحملون مشروعها بصدق وإخلاص ودقة دون تحريف ولا تخريف، ودون أخذ شيء من الغرب ولا من سياساتهم الهابطة. فنذّكر المسلمين بحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**» رواه النسائي. ونذكرهم أيضًا بأن الله عز وجل مع الجماعة. ونوجِّه المسلمين كذلك بأن يقيسوا الأمور بدينهم وشريعتهم؛ فنذكرهم بقوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**» رواه الحاكم.

هذه أهم الطرق والأساليب في التصدي لمحاولات الكفار في سياسة الاحتواء لإجهاض العمل الإسلامي، وجعل بلاد المسلمين مزرعة لهم في حلِّهم وترحالهم، ودعم اقتصادهم؛ سواء أكان ذلك عن طريق نهب الثروات، أم عن طريق فتح الأسواق، أم غير ذلك.

وفي الختام نقول بأن هذه الأمة هي أمة القرآن؛ الذي يحذرنا في كل آية من آياته من الكفر والكافرين، ويذكرنا بتاريخهم وأفعالهم مع الأنبياء؛ منذ عهد آدم عليه السلام حتى عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهي أمة الجهاد والاستشهاد والبذل والعطاء والتحدي والتصدي، فلا تعطي دنية لكافر أبدًا، وهي موعودة بالنصر والتمكين في الأرض والظهور على الدين كله ولو كره الكافرون. وموعودة بفتح الأرض، مشارقها ومغاربها بما فيها روما عقر دار الغرب في أوروبا. فنسأله تعالى أن يقوي شوكة هذه الأمة في وجه الاستعمار وأدواته؛ سواء أكان في سياسات الاحتواء أم الحرب الصريحة. ونسأله تعالى أن يضمَّنا عما قريب تحت ظل الخلافة الراشدة على منهاج النبوة. اللهم آمين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الاحتيال والتلاعب بالنظريات العلمية خدمة للأطماع الرأسمالية

د. أيمن صلاح

الأرض المباركة (فلسطين)

في بداية هذا المقال، لا بد من أن نبدأ ببيان واقع النظريات العلمية، وبيان إمكانية إخضاعها للتلاعب والتزوير واستغلال ذلك للأغراض الرأسمالية، ثم نبين مجالات التلاعب والاحتيال الرأسمالي باستخدام النظريات العلمية.

النظريات العلمية هي معارفُ يُتَوصلُ إليها بالبحث والتفكيرِ العلميِ المسمّى بالمنهج العلمي، والتفكير العلمي محصورٌ في الوقائع المادية الملموسة التي تخضع للتجربة، وهو يَستخدِمُ الطريقة العقلية نفسها التي تقوم على ربط الإحساسات بالوقائع مع المعلومات السابقة، ولكنّ ما يميّزه هو أن الوقائعَ هي تجاربُ علميةٌ أو ملاحظاتٌ علمية، أما المعلوماتُ السابقة فهي المعارفُ التراكميةُ الناتجةُ بهذه الطريقة. والنظرياتُ العلمية هي معارفُ ظنيةٌ غالبًا؛ إذ لا يشترط فيها القطع واليقين، ومن الخطأ التصورُ أن المنهجَ العلمي لا ينتج إلا المعلوماتِ الصحيحة، فكثيرٌ من المعلومات العلمية يتبينُ خطؤُها بعد فترة؛ ولذلك يمكن أن نجد نظريات علمية متناقضة؛ لأن تفسير الواقعِ أحيانًا يمكنُ أن ينتج وُجهاتِ نظرٍ مختلفة، وقد يصل الاختلافُ إلى حد التناقض. وكلُ وجهةِ نظرٍ أو رأيٍ علميٍ يُفسرُ الملاحظاتِ ونتائجَ التجارب يعتبر نظريةً علمية. وعندما تُبنى الإجراءاتُ والسياساتُ على أساس المعارفِ الناتجةِ بطريقِ المنهج العلمي فإنها تكونُ عرضةً للخطأ والفساد المُبرر، ويتبينُ خطؤها عندما يتبينُ خطأُ المعارفِ التي بُنيت عليها.

إنه لا يخفى على أحد أن الرأسماليين تُسَيرُهم مصالحُهم المادية، فهم يسعون لتحقيق الربح بغضِّ النظر عن أي اعتبار آخر، فلا اعتبار عندهم للقيم الإنسانية والخلقية، بل إن كثيرًا من المشاريع الرأسمالية هي ضررٌ محضٌ للبشرية، ولا مانع عندهم من تزوير المعارفِ العلمية التي تَصلُحُ لخدمتهم. والدولُ الرأسمالية تبني سياساتِها لتسهيل مصالح الشركات الرأسمالية، وتضعُ التشريعاتِ والقوانينَ في الداخل لتسهيل عمل هذه الشركات، وتفرضُ التشريعاتِ في القوانين الدولية، وتقيمُ العلاقاتِ الدوليةَ والاتفاقياتِ الدوليةَ لهذا الغرض. وفي كثيرٍ من الحالات يجبُ أن تُبنى هذه الإجراءات على أساس المعارف العلمية، فتلجأُ إلى العبثِ والخداعِ في النظريات العلمية. وكما أن الدوَل الرأسماليةَ الاستعمارية تتخذُ من المؤسسات الدولية أداةً لتنفيذ سياساتها الدولية، فكذلك هناك مؤسسات علمية عالمية عدة تهيمن على الساحة العلمية وتتخذُها الدولُ الرأسمالية كأدوات لهذه السياسات.

أساليب التلاعب والاحتيالِ الرأسماليِ بالنظريات العلمية

أولًا: التعاملُ مع بعض الفرضيات والنظريات كحقائق علمية

قلنا إن النظرياتِ العلمية ليست قطعية، بل هي في أحسن الأحوال ظنية، وأحيانًا تكون مجردَ أوهامٍ وخزعبلات؛ ولكن يمكنُ لهذه النظريات أن تخدمَ المصالح الرأسمالية، فيتمُ الترويجُ لها ورفعُها إلى مستوى الحقائق، وتُنسجُ القصصُ الخياليةُ الزائفةُ التي تزعم أن التيارَ السائد في المجتمع العلمي يقبلُ بها، ويُمارَسُ الإرهابُ العلمي ضد من لا يقول بها أو يقول بخلافها. وهناك أمثلة عدة: منها فرضُ القبولِ بنظرية الاحتباس الحراري والتغيُّر المناخي وتَسَبِبها عن النشاطات البشرية لتحقيق أهدافٍ سياسية واقتصادية كما سيأتي، ومنها الخداعُ والمبالغةُ في التخويف من خطرِ بعض الأمراض لفتح المجال لشركات الأدوية لتسويق منتجاتِها.

ثانيًا: تحويل المسائل العلمية إلى قضايا سياسية عالمية

وهذا يبرز في مشاكل الطاقة والمناخ والاحتباس الحراري والتنوع الحيوي والغذاء، وهي مسائلُ يمكنُ بحثُها علميًا لمعرفة الحقيقة بشأنها؛ ولكن الدولَ الكبرى قررتْ أنها مشاكلُ عالميةٌ تهددُ كوكبَ الأرض، وقررتْ أنه إذا لم يتم علاجُها عالميًا فستتفاقمُ إلى كوارثَ عالمية، وقررت نوعَ العلاجِ لكلٍ من هذه القضايا. ولتنفيذِ ذلك عقدت لها مؤتمراتٍ عالمية، وكتبت بشأنها اتفاقياتٍ دولية، وطُلبَ من دول العالم في كافة القارات التوقيعُ عليها. وفي هذه الاتفاقيات تلتزمُ الدولُ بتطبيق سياساتٍ داخليةٍ متعلقةٍ بالصناعة والزراعة وتطويرِ المدن، وفي بعض الاتفاقيات بنودٌ تفتح المجال لتدخلٍ أجنبي في شؤون الدول في حال لم تنفذ بنودَ الاتفاقيات، وأحيانًا تجدُ بنودًا تفتح أبوابَ البلاد للشركات الأجنبية لاستباحة ثروات البلاد الطبيعية مثل التنوع الحيوي.

ولمزيد من التوضيح نضرب مثلًا نظرية الاحتباس الحراري والتغيُّر المناخي، فهي نظريةٌ علمية لا يمكن للعلم التجريبي القطعُ بصحتها، ورغم وجود عدد من الدراسات التي تعارضُها، إلا أن الأممَ المتحدة تبنتها كقضية عالمية، وعقدت الأمم المتحدة "معاهدة كيوتو" لحماية البيئة سنة ١٩٩٧م واتفاق باريس للمناخ سنة ٢٠١٥م، وهي خطواتٌ تنفيذيةٌ بشأن التغيُّر المناخي، وتلبي هذه الاتفاقياتُ متطلباتٍ سياسية واقتصادية للدول الكبرى والشركات الرأسمالية، فمن جهة تعتبر مدخلًا للدول الكبرى للتدخل في شؤون الدول الأخرى وسياساتها الصناعية، ومن جهة أخرى تدعو هذه الاتفاقات إلى زيادة الاعتماد على مصادر الطاقة المتجددة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والوقود الحيوي بدلًا من الاعتماد على الوقود الأحفوري بشكل أساسي، وهذا ما يخدم الشركات التي تستثمر في مجال الطاقة المتجددة.

ثالثًا: وضع تعريفات فضفاضة لاصطلاحات علمية واستخدامُها حسب الرغبة

ولتوضيح هذه الفكرة أُمَثّلُ لها بمصطلح الاستدامة والتنمية المستدامة SUSTAINABILITY AND SUSTAINABLE –

DEVELOPMENT. فهل للاستدامة والتنمية المستدامة مفهوم دقيق؟ وهل يمكن قياسها؟ التنمية المستدامةُ مصطلحٌ علميٌ ظهر على الساحةِ الدوليةِ في أواخر الثمانينات من القرن العشرين، ثم أصبح يُتداولُ وَسْطَ عدد من المصطلحات السياسية والثقافية مثل العولمة، صراع الحضارات، الحداثة، ما بعد الحداثة، التنمية البشرية، الجينوم، المعلوماتية... وغيرها. وقد تبنَّت منظمةُ الأغذية والزراعة (الفاو) تعريفًا لمصطلح التنمية المستدامة في عام ١٩٨٩م كما يلي: "التنمية المستدامة هي إدارةُ وحمايةُ قاعدةِ الموارِدِ الطبيعيةِ وتوجيهُ التغيُّرِ التقنيِ والمؤسسي بطريقةٍ تضمن تحقيقَ واستمرار إرضاءِ الحاجاتِ البشرية للأجيال الحالية والمستقبلية. إن تلك التنمية المستدامة (في الزراعة والغابات والمصادر السمكية) تحمي الأرضَ والمياهَ والمصادرَ الوراثية النباتية والحيوانية، ولا تضر بالبيئة، وتتسمُ بأنها ملائمةٌ من الناحية الفنية ومناسبة من الناحية الاقتصادية ومقبولةٌ من الناحية الاجتماعية".

وفي الحقيقة إن هذا التعريفَ هو أقربُ إلى الشعارات، ويفتقدُ إلى الحديةِ والعمق العلمي والتحليلي. ولذلك دخلت الأمم المتحدة على خط التنمية المستدامة، واعتمدت في عام ٢٠١٥م أهدافَ التنمية المستدامة (SDGs)، والتي سميت أيضًا باسم الأهداف العالمية، وأطلقت برنامجَ الأممِ المتحدة الإنمائيَّ ليطبق سياستَها في نحو ١٧٠ دولة. وأصبح التطبيقُ العمليُ للتنمية المستدامة يتأرجحُ بين رغباتِ القادةِ السياسيين والمتنفذين الرأسماليين. وإليكم بعض الأمثلة:

الاستدامة والسياسة الزراعية: تعتمد الزراعة الحديثة على استخدام سلالات زراعية عالية الإنتاجية في الزراعة لتلبية الطلب المتزايد على الغذاء. يتم إنتاج هذه السلالات بطرق التهجين الطبيعية وبعضها ينتج بطرق التعديل الوراثي. وهي عمليةٌ غيرُ مستدامةٍ من الناحية البيئية؛ حيثُ تؤدي إلى استهلاك كمياتٍ من الماء والموادِ الكيماوية كأسمدة ومبيدات بالإضافة لخطرها على البيئة والتنوع الحيوي. كما أن هناك جدلًا علميًّا حول خطرها على الصحة البشرية بسبب تلوثِ المحاصيل بالمبيدات وضعفِ القيمةِ الغذائية لكثير من هذه الأصناف والمخاطر المحتملة للمحاصيل المعدلة وراثيًّا. وهي أيضًا غيرُ مستدامةٍ من ناحيةِ السياسةِ الزراعية وخاصة فيما يسمى الدول النامية، حيث تجعلُ البلادَ تابعةً زراعيًّا لشركاتٍ أجنبيةٍ منتجةٍ لبذور أو درنات أو أبصال السلالات الزراعية والمبيداتِ المناسبة لمعالجة آفاتها؛ حيث لا يستطيعون إنتاج الأجزاء التكاثرية لها ولا يملكون المواد الكيماوية اللازمة لمعالجتها. ومع ذلك يستمرُ الترويجُ لها علميًّا والاعتمادُ عليها على اعتبار أنها الحل الأمثل في تأمين الغذاء للسكان بحسب وجهة النظر الرأسمالية في المشكلة الاقتصادية وطريقة معالجتها. وفي ذلك خدمةٌ عظيمةٌ للشركات الرأسمالية التي تحتكر إنتاج السلالات الزراعية عالية الإنتاجية والمواد الكيماوية اللازمة لها.

الاستدامة في صناعة واستخدام الورق: الطريقة التقليدية للتخلص من نفايات الورق هي الحرق، لكن وُصِفت هذه العمليةُ بعدم

الاستدامة؛ لأنها تؤدي إلى انبعاث ثاني أوكسيد الكربون من جهة، ومن جهة أخرى تحتاجُ تصنيعَ مزيدٍ من الورق من المادة الخام له وهي سيليلوز الخشب وبالتالي يحصل استنزافه من مصادره الطبيعية. والحلُ المقترح بحسب التنمية المستدامة هو إعادة استخدام الورق بالتدوير؛ لكن التدويرَ يحتاج إلى جمعِ الورقِ المستخدمِ من كل مكان، وهذه العملية تُشَغّلُ كميةً كبيرةً من الشاحنات ووسائلِ الجمع والنقل، وكلُها عملياتٌ تستنفدُ مزيدًا من الطاقة وتؤدي إلى تلوث الهواء وانبعاث مزيد من ثاني أكسيد الكربون، ثم تحتاجُ إلى استخدام كمياتٍ هائلة من المواد الكيماوية والطاقةِ في عملية التنقية وإعادةِ التصنيع لإنتاج ورقٍ قليل الجودة مقارنة بالورق الأصلي. ثم تتكرر العملية حتى يعمَ التلوث. فأي الحالتين هي الاستدامة؟

الاستدامة في إنتاج الوقود الحيوي من بعض المحاصيل الغذائية، ومن الأمثلة على سيطرة الرأسماليين على تطبيقات نظرية التنمية المستدامة إنتاج الوقود الحيوي من بعض المحاصيل الغذائية التي تؤجج أزمة الغذاء: ففي البرازيل مثلًا كَشَفَ عددٌ من الباحثين عدمَ الاستدامة في استخدام الذرة وقصب السكر لإنتاج الوقود الحيوي بسبب آثارها الضارة على البيئة الطبيعية، والأمن الغذائي وكربونية التربة، وقالوا إن أفواه الجوعى الفقراء في القارة اللاتينية وفي أفريقيا أحقُّ بالذُّرة البرازيلية من خزانات وقود سيارات الأغنياء. ومع ذلك يعتبرُ السياسيون والأممُ المتحدة أن استخدام الذرة لإنتاج الوقود الحيوي أكثر استدامة.

رابعًا: العبث بالمعايير والمواصفات

لتوضيح هذه الفكرة أستخدم مثالين من المعايير والمواصفات: الأول: معاييرُ الصحة والمرض. والثاني: معايير ومواصفات المصادر البيئية.

في المجال الطبي توجدُ مواصفاتٌ للإنسان السليم، وهذه المواصفاتُ هي عبارةٌ عن قياساتٍ لعددٍ كبيرٍ من المتغيرات في جسمه، مثل عدد خلايا الدم وأنواعها، ضغط الدم، عدد النبضات في الدقيقة، تركيز الهرمونات في الدم، تركيز السكر في الدم، تركيز الكوليسترول، تركيز الدهون، تركيز حامض اليوريا، وغيرها الكثير. وعادة يكون لهذه القياساتِ حدودٌ دُنيا وحدودٌ عُليا في الإنسان السليم. والنظريةُ العلمية تقول إن تغيُّرَ قيمةِ أيٍ من هذه المتغيرات خارجَ مداها الطبيعيَ يعتبر مؤشرًا على حالةٍ مَرَضيةٍ معينة؛ لكن الواقعَ أنه ليس بالضرورة أن يكونَ مريضًا فعلًا؛ لأن أيَ قيمةٍ أصلًا هي معدلُ القراءات في عدد كبير من الأشخاص السليمين، فهناك حتمًا حالاتٌ سليمةٌ ولكن القراءات فيها لبعض المتغيرات تقع خارج المدى المعتمد للصحة، وكذلك يمكنُ أن تتغيرَ أي قراءة مؤقتًا استجابة لمؤثرات بيئية ونفسية. وتحرصُ الشركاتُ الرأسماليةُ على التوصية باعتماد قيمٍ ضيقةٍ للمدى الطبيعي وخاصة فيما يتعلق بالأمراض المزمنة التي تحتاج إلى علاج ورعاية طبية دائمة.

مثلًا مرض السكري: هناك عدة فحوصات وقراءات لتشخيص المصاب بالسكري ونوع المرض، وأحد أشهر هذه الفحوصات هو فحص السكر الصيامي (FASTING BLOOD SUGER - FBS)؛ حيث يتم إجراءُ هذا الفحص

بعد الامتناع عن تناول الطعام والصيامِ لمدة لا تقل عن ٨ ساعات، ليعطيَ قيمًا تُشير إلى مستويات السكر في الدم، ففي حال كانت هذه القيمُ بين ٧٠-٩٩ ملغم لكل ١٠٠ ملل تعتبر قيمًا طبيعية، وفي حال تراوحت بين ١٠٠-١٢٥ ملغم لكل ١٠٠ ملل فإنها تُشير إلى مرحلة ما قبل السكري المعروفة بمقدمات الإصابة بالسكري (Prediabetes)، وتعتبر القيمة ١٢٦ ملغم لكل ١٠٠ ملل عتبةً للمرض، ففي حال بلغت القيمةُ ١٢٦ ملغم لكل ١٠٠ ملل أو زادت فإنها تُشير إلى الإصابة بمرض السكري.

والآن لنقف عند الرقم المعتمدِ كعتبة للمرض وهو ١٢٦، هذا الرقمُ وحده لا يعني سوى كونِه مؤشرَ خطر. قبل ثلاثين عامًا كان الرقمُ المعتمدُ هو ١٤٠ ملغم لكل ١٠٠ ملل. فماذا يعني تخفيضُ الرقم؟! بِلُغةِ الطبِ يعني البِدءَ بالعلاج أبكر والدوام على الفحوصات الدورية، انطلاقًا من مبدأ "كلما بدأنا العلاج أسرع كان أفضل". هذا المبدأُ ليس صحيحًا دائمًا. فهو يعني أن نسبةً من الأشخاص الأصحاء سوف يخضعون للعلاج مع ما يرافقُ ذلك من المخاطر. وما ذكرتُه هنا عن مرض السكري ينطبقُ تمامًا على ضغط الدم ونسبة الكوليسترول وغيرهما.

مَنْ المستفيدُ من تخفيض العتباتِ التي يبدأ عندها العلاجُ والفحوصاتُ الدورية؟ المستفيدُ في المقام الأول هي شركاتُ الصناعات الدوائية. عندما يتم تخفيضُ أحد الأرقام من ١٤٠ إلى ١٢٦ يعني هذا أنه أصبح لدينا بجرة قلم ملايينُ المرضى الجدد. وبِلُغةِ المال يعني زيادةً في أرباح هذه الشركات بالمليارات.

فمن حيث أرقامُ المصابين، جاء في التقرير العالمي للسكري الذي أصدرته منظمةُ الصحة العالمية في ٢٠١٦م أن عددَ المصابين بالسكري ارتفع من ١٠٨ مليون شخص في عام ١٩٨٠ إلى ٤٢٢ مليون شخص في عام ٢٠١٤م (أي ارتفع أربعة أضعاف)، وارتفع معدلُ انتشارِ السكري على الصعيد العالمي لدى البالغين الذين تزيدُ أعمارُهم عن ١٨ عامًا من ٧,٤٪ في عام ١٩٨٠م إلى ٥,٨٪ في عام ٢٠١٤م. وبحسب التقرير فإن سبب تفشي المرض هو التغييراتُ التي طرأت عالميًا على الطرقِ التي يأكل ويتحرك ويعيش بها البشر، علمًا أن أحد الأسباب الرئيسة لزيادة أرقام المصابين هو تغيير عتبة المرض المعتمدة. وبلغة المال، جاء في البيان الذي أصدره الاتحاد الدولي للسكري ٢٠١٧م أنّ حجمَ الإنفاق السنوي العالمي على السكري وصل إلى ٧٢٧ مليار دولار.

وفي مجال معايير ومواصفات المصادر البيئية يُفرض على الدول والمصانع التي تطرحُ موادَّ إلى البيئة أن تكون بمواصفات معينة حتى لا تضرَ التوازنَ في النظام البيئي؛ ولكن أحيانًا يعتبرون المواصفات صحيحة عندما يتم تمريرها من خلال تقنيات أو أجهزة معينة معتمدةٍ لدى المنظمات الدولية المعنية بالبيئة، وفي هذا تسويقٌ لهذه الأجهزة والتقنيات وفتحُ المجال لشركاتٍ رأسمالية لتنفيذِ مشاريعَ في مختلف الدول، مثل اعتماد تقنيات معينة لمعالجة المياه العادمة والنفايات الصلبة، ومرشحاتٍ خاصة للغازات المنبعثةِ من المصانع، وفرضِ طرقٍ معينةٍ لإعادةِ تأهيلِ الأنظمةِ البيئية التي تتعرض للضرر، وفرض

مناطق معينة كمحميات طبيعية، وغيرها.

خامسًا: تمويل أبحاثٍ تعطي نتائجَ زائفةً فيها خدمةٌ للشركات الصناعية، ومنعُ التمويلِ عن الأبحاثِ التي تعطي نتائجَ تخالفُ رغباتِهم

إن إمكانيةَ وجودِ الأبحاثِ العلميةِ الزائفةِ أمرٌ معروفٌ في الأوساط العلمية. ففي أيار ٢٠١٨م، نشرت مجلةُ نيتشر (Nature) العالمية دراسةً مسحيةً[1] شملت ١٥٠٠ بحثًا منشورًا، وكانت تركزُ على الأزمة في إمكانية إعادة إنتاج المعرفة العلمية التجريبية (reproducibility)، وقد ذكرتْ فيها أن ٢٪ من الباحثين الذين شملتهم الدراسة اعترفوا بممارسة التزوير في النتائج العلمية.

والشركاتُ الرأسمالية تعتمد كثيرًا في دعايتها على منتجاتها على الأبحاث الزائفة، يظهر ذلك في عدد من المجالات أهمها التغذية والصحة؛ حيث تقوم الشركات الصناعية بتمويل أبحاثٍ علميةٍ لتعطي نتائجَ تتماشى في كثير من الأحيان مع مصالحها. فهناك المعهدُ الدولي لعلوم الحياة (ILSI) الذي يعرف عن نفسه بأنه منظمةٌ غيرُ ربحية تمولُها الشركاتُ ومقرُّها واشنطن العاصمة، ولها ١٧ فرعًا منتسبًا حول العالم، ويصفُ المعهدُ نفسَه كمجموعة تمارس "العلوم من أجل الصالح العام وتحسن صحة الإنسان ورفاهيته وتحمي البيئة". ومع ذلك، تُظهر التحقيقاتُ التي أجراها أكاديميون وصحفيون وباحثو المصلحة العامة[2] أن هذا المعهد (ILSI) هو مجموعة ضغط تحمي مصالح صناعة الأغذية، وليس الصحة العامة. بما في ذلك الدفاع عن المكونات الغذائية المثيرة للجدل وقمع الآراء غير المواتية للصناعة. ولها تأثير كبير على الإرشادات الغذائية الأمريكية.

وفي السياق نفسه قامت مؤسسة أبحاث السكر (Sugar Research Foundation - SRF) قبل ٥٠ عامًا (في ١٩٦٥م) بتمويل علماء من جامعة هارفارد لإجراء أبحاثٍ عرفت بـ "مشروع ٢٥٩" (Project ٢٥٩) وكان الهدفُ من الأبحاث إخفاءَ علاقةِ تناول السكريات بأمراض القلب وإلقاءَ اللوم على الدهون المشبعة. وعندما بدأت النتائجُ الأوليةُ تَظهرُ بخلاف ما يريدون سحبت مؤسسةُ أبحاث السكر تمويلَ البحث وتم إنهاءُ الدراسة، ولم تُنشر النتائجُ أبدًا وَفقًا لدراسة[3] نُشرت في الدورية العلمية PLOS Biology.

وفي عام ٢٠١٥م، ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن شركة كوكا كولا مَوَّلت بعضَ علماء التغذية الذين ينفون علاقةَ البدانةِ بالأنظمةِ الغذائية السيئة وتناولِ المشروبات الغازية

١- Monya Baker, «1500 scientists lift the lid on reproducibility», Nature, May 2018.

٢- تقرير محاسبة الشركات لشهر أبريل ٢٠٢٠ Corporate Accountability, 2020, PARTNERSHIP FOR AN UNHEALTHY PLANET: How big business interferes with global health policy and science.

٣- Kearns CE, Apollonio D, Glantz SA (2017) Sugar industry sponsorship of germ-free rodent studies linking sucrose to hyperlipidemia and cancer: An historical analysis of internal documents. PLoS Biol 15(11): e2003460. https://doi.org/10.1371/journal.pbio.2003460.

والسكرية. وفي ٢٠١٦م، كشفت وكالة أسوشيتد برس (Associated Press) أن صُنَّاعَ المنتجاتِ السكرية يموِّلون أيضًا أبحاثًا زائفة؛ حيث أظهرت إحدى الدراسات الممولة أن الأطفال الذين يتناولون الحلويات، يقل وزنُهم مقارنةً بغيرهم ممن لا يأكلون الحلوى. وينطبق الأمرُ نفسُه على شركات الأدوية، التي تُعرَفُ بقمعها للبحوث المؤدية إلى إظهار نتائج غير مواتية.

سادسًا: خلط العلوم بالمعارف الثقافية للأغراض النفعية

الدورياتُ العلمية لا تنشرُ إلا الأبحاثَ العلميةَ المتعلقةَ بالمادياتِ والمبنيةِ على الحس والمشاهدة، ولا تنشر المقالات المبنية على أساس وجهة النظر في الحياة، سواء الإيمان بالخالق والأديان أم الأحكام الشرعية، ويرفضون أي تدخل للدين في المعارف العلمية؛ ولكن برزت للشركات الصناعية الرأسمالية مشكلة أن كثيرًا من المسلمين يرفضون المنتجات الغذائية إلا أخذ المنتج "شهادة حلال"، وبعض الدول في العالم الإسلامي أصبحت تشترط أن يأخذ المنتج "شهادة حلال" قبل أن يتم إدخاله إلى البلاد. وهذا أضعف تسويق كثير من المنتجات في البلاد الإسلامية وفي أوساط المسلمين في الغرب. ولمحاولة الخروج من هذه المشكلة طلبت الشركات المصنعة من علماء مسلمين أن يضعوا مواصفات للمنتج الحلال، فأصبح بعض العلماء يبحثون في واقع المواد التي يحرم تناولها في الطعام والشراب، ويبحثون في استخداماتها الأخرى في الأغذية المصنعة والمواد الدوائية والمستحضرات التجميلية وغيرها، ويبحثون في كيفية إنتاجها واستخدامها، ويذكرون حالات يحرم استخدامها وحالات يجوز استخدامها، ومن الموادِّ التي تدخل في هذه الأبحاث الكحول والمواد المخدرة وبعض المواد المستخلصة من مصادر حيوانية وغيرها. وسُمِح لهؤلاء بنشر أبحاثهم في الدوريات العلمية التي أصلًا ترفض نشر الأوراق العلمية التي يكون للدين أثر في مخرجاتها. وبالتدقيق يتبين أن ما يقبل نشره هي الأوراق العلمية التي تتبنى آراء يمكن تصنيفها بالاعتدال، أي التي تقول بجواز استخدامات لا يقرها علماء الشريعة عادة؛ لكنها تُنْشَرُ لأنها تصلح كمادة دعاية لتسويق المنتوجات في أوساط المسلمين سواء في الغرب أو في البلاد الإسلامية.

وفي ختام هذا المقال، أودُ أن أوضحَ أن معظم ما ورد فيه من أمثلة عن نظريات وفرضيات علمية ليس لإنكارها ولا لإقرارها، وإنما لبيان انعدام القيم الإنسانية والخلقية عند الدول الاستعمارية والشركات الرأسمالية حال استخدامهم لهذه النظريات كأساس للقرارات السياسية وأساس للتطبيقات الصناعية، ولإظهار حاجة البشرية للتخلص من التبعية للقوى العظمى وأدواتها من المنظمات الدولية والاتفاقيات الدولية، وللتأكيد على حاجة البشرية لمراكز بحث علمية مستقلة عن هيمنة الرأسمالية، بحيث تُجرى الأبحاثُ العلمية التي توضح الحقائق الصادقة عن أي مسألة علمية، وتعطي خدمةً للبشرية وليس خدمةً للجهة الداعمة. إن مثلَ هذه المراكز البحثية لا يمكن أن توجدَ إلا في دولة الخلافة القائمة قريبًا بإذن الله. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

قراءة جيوستراتيجية في بذور وجذور تغلغل النفوذ البريطاني في بلاد المغرب من أدناه إلى أقصاه (١)

مناجي محمد

إن مسألة النفوذ الأجنبي وما يتولَّد عنها من تبعية وعمالة مسألة بالغة التعقيد والتركيب؛ لأنها تستوجب معلومات غاية في الحساسية والخفاء، ومتعلقة بدوائر الحكم الضيِّقة وغرفه وزواياه المظلمة، ودقة متناهية في رصد الأحداث والوقائع والتصرفات لتمييز طبيعة التبعية، ومنها العمالة ووجهتها. إن مسألة النفوذ الأجنبي وما يستتبعها من تبعية وعمالة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالسياسة الدولية وبهيكل العلاقات الدولية، ومن ثم بالموقف الدولي ودوله الكبرى الفاعلة فيه ودولته الأولى صاحبة الفعل المؤثر والقرار النهائي في العلاقات الدولية والسياسة الدولية. وينبغي أن يكون مدرَكًا أن التحكم في العالم على مرِّ التاريخ هو للدول الكبرى، ولا سيما الدولة الأولى، وأن أي تحوُّل في ميزان القوى للدول الكبرى هو المؤثر والفاعل في تحوُّل وتبدُّل وتغيُّر الموقف الدولي والعلاقات الدولية والسياسة الدولية، ثم الانعكاسات والآثار المترتبة على وجهة الدول الوظيفية تبعيةً وعمالةً. وعليه فلا بد من إدراك هذا كله إدراكًا متطورًا متفاعلًا مع التحولات الطارئة والتغيرات في الموقف الدولي والساحة الدولية؛ حتى يتسنَّى فهم السياسة الدولية وتبعاتها المشؤومة في صناعة الدول الوظيفية للكافر المستعمر والعملاء الخونة في بلاد المسلمين.

بدأ القرن الثامن عشر وقد دار الزمان دورته، ودبَّ الضعف في كيان الأمة الاستراتيجي، خلافتها، واعترى التفكك والتشرذم جسم الدولة، وبات الانحطاط سيد الموقف حتى شُلَّت حركتها الفكرية المنتجة بالكامل؛ فاستفحلت واستعصت مشاكلها. ثم كان الانقلاب الصناعي في أوروبا الذي أحدث انقلابًا في ميزان القوى، ثم اعتناق الأوروبيين لمبدئهم الرأسمالي الاستعماري المشؤوم؛ فأصبحت دولة الإسلام هدفًا للتدمير، واستئصال الإسلام غاية استراتيجية، وبلاد المسلمين وثرواتهم مطمع الطامعين. ثم كان القرن التاسع عشر عصر الاستعمار الأوروبي بامتياز، فأخذت دول أوروبا الكافرة تغتصب بلاد المسلمين قطعة قطعة، فبدأ الجزر الإسلامي بعد ذلك المد المجيد العظيم.

وقراءتنا هذه معنيَّة برصد النفوذ الأجنبي في غرب البلاد الإسلامية مع توسع في الحالة المغربية، ولما كان القرن التاسع عشر هو عصر الاستعمار الأوروبي، فهو إذن بداية التاريخ المفصلي لقراءة وفهم الموقف الدولي والسياسة الدولية المتعلقة بغرب البلاد الإسلامية، إنه كان زمن زرع وغرس بذور وجذور النفوذ البريطاني في غرب البلاد الإسلامية.

أهمية البحر الأبيض المتوسط في سياسة بريطانيا الاستعمارية:

لطالما كان البحر الأبيض المتوسط واحدًا من أكثر النقاط الجيوستراتيجية أهمية في تاريخ الحضارات والأمم، والذي استجدَّ مع الاستعمار الأوروبي أنه أضحى أخطر ممر مائي لقوات استعماره وتجارة نهبه، فأضحى من أكبر الأهداف الاستراتيجية لدول أوروبا الاستعمارية، بحر يربط بين القارات الثلاث أوروبا وأفريقيا وآسيا، محكم الإغلاق بأقفال مضايقه وقنواته، يتصل بالمحيط الأطلسي عن طريق مضيق جبل طارق، ويتصل بالبحر الأسود عبر مضيقي الدردنيل والبوسفور، ويتصل بالبحر الأحمر عن طريق مصر ومن بعد قناة السويس، وتشكل هذه المضايق شبه عنق زجاجة، فهي أقفاله ونقاطه الخانقة التي تحدُّ من ملاحته، بل وتُشلّ بها حركته، والسيطرة عليها سيطرة عليه.

وهكذا بدأ العصر الاستعماري الأوروبي بداية القرن التاسع عشر، وعينُ دوله الكبرى على البحر الأبيض المتوسط، ففضلًا على الهدف الاستراتيجي الأول في القضاء على دولة الإسلام الخلافة العثمانية وعزل الإسلام عن الساحة الدولية والسياسة الدولية، كان البحر الأبيض المتوسط وحوضه الجنوبي والبلاد المطلَّة عليه هدفًا استعماريًا، ينظر لتلك البلاد على أنها محل غزو واستعمار لتفكيك الخلافة العثمانية بوصف تلك البلاد جزءًا من جغرافيتها، وللتحكم في أخطر ممر مائي، ومن ثم التحكم في الملاحة والتجارة العالمية وفي أبواب وأقفال الاستعمار.فالصراع الاستعماري حول البحر الأبيض المتوسط وحوضه الجنوبي كان محمومًا بين دول أوروبا الكبرى بداية القرن التاسع عشر.

فبعد هزيمة الجيش الفرنسي وفشل حملة نابليون العسكرية في احتلال مصر بوابة البحر الأبيض المتوسط الشرقية تحت ضربات الأسطول البريطاني عام ١٨٠١م؛ حيث تمَّ تحطيم الأسطول الفرنسي وغرقه بالمجمل، وقَّعت فرنسا معاهدة الاستسلام والخروج من مصر على متن السفن البريطانية. ثم كان تحالف بريطانيا مع بروسيا ضد فرنسا وكانت معركة واترلو عام ١٨١٥م وهزيمة فرنسا أمام بروسيا، والتي تعتبر الفصل الختامي لإمبراطورية نابليون بونابرت وإنهاء الأطماع الفرنسية ثم التقهقر الفرنسي، ومن ثم بداية سيطرة الأسطول البريطاني على حوض البحر الأبيض المتوسط.

فهزيمة واترلو كانت الخلفية المباشرة لمؤتمر فيينا عام ١٨١٥م والقيود التي فرضها على فرنسا من منعها إجراء تغييرات إقليمية دون موافقة الدول الكبرى حينها، وهي: بروسيا وروسيا والنمسا وبريطانيا، ثم قدَّمت بريطانيا مذكرة في المؤتمر بخصوص إيالة الجزائر مركز ومقر الأسطول البحري للدولة الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، تحت بند أسمته القرصنة المغاربية في البحر الأبيض المتوسط وضرورة القضاء عليها، فمنحها المؤتمرون حق النظر فيما هو صالح للقارة الأوروبية في حوض البحر الأبيض المتوسط، فأصبحت لها اليد الطولى عليه.

تسخير الغير وتكتيل الأحلاف من أبجديات سياسة بريطانيا الاستعمارية.

كانت لسياسة بريطانيا النشطة في إشراك الغير وتكتيل الأحلاف الأثر الأكبر في هزيمة فرنسا والقضاء على أطماعها، فقد بلغت ميزانيتها في عام ١٨١٤م نحو ٨٨ مليون جنيه إسترليني خصصت منها عشرة ملايين للحلفاء؛ إذ دفعت لنسبة كبيرة من الجنود النمساويين والروس لحرب فرنسا في معركة واترلو. وسياسة تكتيل الأحلاف وإشراك الغير سياسة تفرضها معضلة إنجلترا في قلة عدد سكانها وضيق جغرافيتها كجزيرة. فبعد هزيمة فرنسا في حروبها النابليونية الاستعمارية عظمت قوة بريطانيا البحرية وقوتها الاستعمارية، وصارت إمبراطوريتها هي المهيمنة دوليًّا والمسيطرة على السياسة الدولية والتجارة العالمية، ومن ثم سعت لتحويل البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة بريطانية وإخضاع حوضه الجنوبي لنفوذها، وكانت بلاد المغرب من أدناه إلى أقصاه في عين العاصفة الاستعمارية البريطانية.

هكذا أصبح الموقف الدولي خاضعًا لسياسة بريطانيا الدولية حتى أسمت نظامها الدولي بالسلم البريطاني، فرسمت خريطة العالم ومعالم سياسته الدولية. ثم لما كانت إنجلترا جزيرة في وسط البحر وسكانها لا تكفي جزيرتهم لعيشهم؛ لذا كان خروجهم من الجزيرة طلبًا للعيش أمرًا لا مفر منه؛ إلا أنهم متى خرجوا خرجوا لصوصًا ومستعمرين لا تجارًا، مصاصين لدماء الشعوب وناهبين لثرواتها لافتقارهم بضاعة المقايضة ومال التجارة.

فلما اعتنقوا المبدأ الرأسمالي الاستعماري استفحلت فيهم اللصوصية وتركَّزت وتجذَّرت فيهم الناحية الاستعمارية في تواؤم وتناغم تامَّين مع سوء طبائعهم فصارت بريطانيا دولة استعمارية من الدرجة الأولى.

ثم إن قلة عدد سكانها (عدد سكان بريطانيا عام ١٨١٤م نحو ١٦ مليون نسمة، وهو بالكاد يمثل نصف حجم سكان فرنسا وقتها) يفقدها الاستطاعة على الوقوف بمفردها ومجابهة قوة تفوقها عددًا؛ لذا توسَّلت لمعالجة معضلتها السكانية والجغرافية بسياسة تسخير غيرها من الشعوب والدول لمساعدتها في استعمارها، وألبست هذه المساعدة الاستعمارية قوالب الأحلاف والمؤتمرات والاتفاقيات؛ ولذلك كان تسخير الغير وتكتيل الأحلاف من أبجديات سياستها الخارجية. ثم إن هذه المعضلة الجيوستراتيجية سكانًا وجغرافيةً جعلت الأعمال المادية العسكرية ثانوية في سياستها الخارجية، بل كان الرأي السائد بين ساستها ورأسمالييها أن الأعمال العسكرية والتوسع غير المحسوب يستنزف الإمبراطورية وينتهي بسقوطها، وهكذا باتت الأعمال السياسية هي رأس حربتها الاستعمارية، وكان حفظ التوازن الدولي خدمة لاستعمارها من أولوياتها الاستراتيجية.

أدركت بريطانيا أهمية السيطرة والتحكم في أقفال البحر الأبيض المتوسط فسيطرت باكرًا على صخرة جبل طارق عام ١٧٠٤م، ثم

ما حقَّقته من مكاسب مهمة في حوض البحر الأبيض المتوسط من خلال ترتيبات مؤتمر فيينَّا ١٨١٥م، فنفذت إلى البلاد الإسلامية المطلَّة على حوضه الجنوبي عبر تجارها وجواسيسها وسفرائها النشطين الذين اخترقوا دوائر الحكم حتى أضحوا مستشارين في القضايا الخارجية للبلاد في كل من تونس والجزائر والمغرب. وبعد قضائها على الأسطول الفرنسي كانت المعضلة الاستراتيجية التي تعترضها لبسط هيمنتها واستعمارها على كامل حوض البحر الأبيض المتوسط هو الأسطول البحري للخلافة العثمانية بولاية الجزائر، فكان التخلص منه هدفها الاستراتيجي؛ فكتَّلت الأحلاف لضربه تحت غطاء محاربة القرصنة، وراحت تشنُّ الغارات تلو الغارات للقضاء عليه، فكانت حملة اللورد إكسماوت البريطانية وأشركت معها الولايات الأمريكية في حربها على إيالة الجزائر عام ١٨١٥م، ثم حملتها على إيالة الجزائر بإشراك فان كابلان الهولندي في ٢٧ آب/ أغسطس ١٨١٦م؛ لكن أسطول الدولة الإسلامية في إيالة الجزائر صمد وقاوم، ولما استعصى قضاؤها عليه طرحت المسألة الجزائرية في مؤتمر إكس لاشبيل عام ١٨١٨م، والذي جاء تقريره تهديدًا ووعيدًا، وبعد رفض شروطه من إيالة الجزائر كانت الحملة البريطانية على الإيالة عام ١٨٢٤م، وتماشيًا مع سياستها في تسخير الغير ووضعه أمام الأخطار التي تتهددها وجدت ضالتها في فرنسا، فأشركتها في حملتها بحصار فرنسا لسواحل الجزائر ١٨٢٧م، ثم يسَّرت لها احتلال إيالة الجزائر عام ١٨٣٠م.

تسخير بريطانيا لفرنسا في سياستها الاستعمارية

أما تسخيرها لفرنسا فمرده أن شعب فرنسا منذ ثورته وأخذه بفكرة الحرية بوصفها صفة فردية عليا وبتجذرها فيه تأصل فيه التفكك وطغت عليه الفردية؛ فصار أقرب منه لمجموعة أفراد منه لأمة أو حتى شعب أو جماعة، حتى ندر فيهم من جرائها وجود حكم قوي أو حكومات قوية، ذلك الذي سهل مهمة بريطانيا في استخدام فرنسا وتسخيرها المرة تلو المرة. وهكذا كان خلال القرن التاسع عشر، فقد عملت بريطانيا على إدخال وإشراك فرنسا في استعمارها من أجل أن تقف بجانبها إذا وجد خطر على منطقتها الاستعمارية، وتضعها أمام الأخطار التي تتهدَّدها حتى قيل «إن إنجلترا تقاتل حتى آخر جندي فرنسي».

وهكذا سخَّرت بريطانيا فرنسا لمواجهة وضرب الأسطول البحري لدولة الخلافة بالبحر الأبيض المتوسط عبر تيسير استعمارها لولاية الجزائر، فالقرائن والدلائل التاريخية والوثائق تؤكد ذلك، فكل المؤشرات كانت تؤكد قدرة وجاهزية الأسطول البريطاني في منع الفرنسيين من احتلال الجزائر، حتى إن الأميرال دوبيري القائد العام للقوات البحرية الفرنسية أفاد «لو قامت بريطانيا بالهجوم على قواتنا فإن فرنسا لن تتمكن من صد الهجوم» وتمنى أن تأخذ المحادثات بين الحكومة الفرنسية والبريطانية فترة أطول حتى تتمكن فرنسا من الوصول إلى هدفها، وذلك الذي كان. ثم

موقف القنصل العام البريطاني بالجزائر سان جون؛ إذ كلما سأله الداي حسين والي الخليفة العثماني على إيالة الجزائر عن مخاطر الحملة الفرنسية كان رد القنصل العام البريطاني: «اصمدوا، فإن فرنسا ستنسحب في النهاية وإن بريطانيا ستساندكم»، إلا أنه في نهاية المطاف اتَّضح أن فرنسا لم تنسحب وأن بريطانيا لم تساند إيالة الجزائر، بل الحاصل أن بريطانيا استخدمت سلاحها الفعال «الكذب والخديعة» للمراوغة الدبلوماسية والوقيعة بالخصم ثم لزمت الصمت حين احتلت فرنسا الجزائر. حتى إن قنصلها العام بالمغرب دريموند هاي النافذ لدى القصر (وكان اختياره كقنصل عام يعود إلى ما أكده هاي بنفسه لحكومته كون بريطانيا هي أقوى أصدقاء المغرب وأكثرهم جدوى، وإلى علاقته الكبيرة ورصيده الدبلوماسي وخبرته في هذه المسائل)، فقد طلب منه رجالات القصر إخلاصهم النصيحة تجاه القضية الجزائرية لتقديمها للسلطان المغربي عبد الرحمن، عندها حذر هاي من أن السلطان عبد الرحمن سيواجه كارثة إذا ما تحدَّى فرنسا وأصرَّ على أن سياسة السلام سوف تحقق أفضل المصالح المغربية.

وهكذا دفعت بريطانيا بفرنسا لاحتلال ولاية الجزائر لضرب الأسطول البحري لدولة الخلافة العثمانية بالبحر الأبيض المتوسط لتتمكن بريطانيا من بسط هيمنتها عليه، كما أن احتلال الجزائر عام ١٨٣٠م تزامن مع برتوكول لندن عام ١٨٣٠م، وبعدها مؤتمر لندن عام ١٨٣٢م، الذي بموجبه اقتطعت بريطانيا اليونان من دولة الخلافة، وهكذا تمكَّنت من التحكم في البوابة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط. ثم استمرت في تسخير فرنسا واستعمالها في درء المخاطر التي تتهددها وكذلك في حفظ التوازن.

وحفظًا للتوازن الدولي وفي أعقاب الحرب الفرنسية البروسية (١٨٧٠-١٨٧١) م فقد تجرَّعت فرنسا مرارة الهزيمة والإذلال على يد الألمان، ودفعت التعويضات المالية الباهظة وخسرت منطقتي الألزاس واللورين وفقدت قوتها، وكانت تعيش ما يشبه الكارثة على مختلف الأصعدة. ثم بدأ صعود القوة الإيطالية، وبدأت إيطاليا تنافس وتصارع بريطانيا، وكانت عين إيطاليا على تونس بوابتها الجنوبية على أفريقيا. وللحد من مطامع إيطاليا أكدت بريطانيا على أن تونس مقاطعة من مقاطعات الخلافة العثمانية مع مواصلة تركيز نفوذها بها عبر تجارها وسفرائها وجواسيسها؛ لكن التنافس والصراع البريطاني الإيطالي استمر، ثم كان مؤتمر برلين المشؤوم عام ١٨٧٨م الذي عقد للاتفاق على إنهاء وجود الخلافة العثمانية بوصفها دولة إسلامية واقتسام ولاياتها، في ظرف انتشرت فيه فكرة الجامعة الإسلامية للخليفة عبد الحميد الثاني التي ترمي إلى إعادة وحدة الأمة الإسلامية وإعادة بناء قوة دولتها، فبدأت الفكرة تحدث متاعب للأوروبيين، فكان مؤتمر برلين لتسريع وتيرة الاستعمار لوأد الفكرة وتفكيك وتفتيت الدولة، وكان اجتماع المستشار الألماني بسمارك ونظيره البريطاني ساليسبوري، وكانت

التسوية الاستعمارية البريطانية باقتطاع تونس آخر قلاع الخلافة العثمانية بحوض البحر الأبيض المتوسط لعزلها وفصلها عن مياه بحره وشل حركتها فيه، ثم جعل تونس تحت الاستعمار الفرنسي، وكان هدف بريطانيا الخفي هو قطع الطريق على إيطاليا وإمداد فرنسا بأسباب القوة بعد هزيمتها لحفظ التوازن الأوروبي وحجب بروسيا من الوصول لحوض البحر الأبيض المتوسط، ثم استولت هي على قبرص لإحكام قبضتها على البوابة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط. وهكذا اقتطعت بريطانيا تونس وقبرص من جسم الخلافة العثمانية، وكان احتلال فرنسا لتونس بتسليم بريطاني لحفظ التوازن الأوروبي ودرء الخطر الإيطالي، ولهدمٍ آخرَ في بناء الخلافة العثمانية. حتى إن مراسَلة من مكتب وزير الخارجية البريطاني ساليسبوري لسفيره بباريس «إن إنجلترا لا ترى مانعًا من توسيع فرنسا لنفوذها أو لمجالها الاستعماري في تونس». وهكذا كان، فبريطانيا سلمت وفرنسا استلمت واستعمرت، وبدأ استعمارها لتونس بعد توقيع معاهدة باردو الاستعمارية في ١٢ أيار/مايو ١٨٨١م خدمةً للاستراتيجية الكبرى لبريطانيا في الحفاظ على تفوقها وهيمنتها وسيطرتها، فانفردت باستعمار أكثر أجزاء العالم، وكان لها حصة الأسد، وأرضت فرنسا بفتات المائدة للحفاظ على إمبراطوريتها.

وهكذا بات نفوذ بريطانيا في حوض البحر الأبيض المتوسط من شرقه ببلاد مصر والسودان واليونان وقبرص إلى غربه ببلاد المغرب الأقصى هو المهيمن والمسيطر بحكم الاستراتيجية الكبرى لبريطانيا في السيطرة على الممرات المائية وأقفالها من مضايق وقنوات لتأمين أسطولها البحري ذراعها الاستعمارية الاقتصادية والعسكرية، والذي به تسيطر على التجارة العالمية وتستعمر وتحتل وتنهب.

وما كانت بلاد المغرب الأقصى استثناء، كعادتها في اختراق الدول والسيطرة عليها عن طريق تجارها وجواسيسها ثم بعدها سفرائها وقناصلها، وذلك الذي كان، ففي المغرب نفذ تجارها إلى الدائرة الضيقة للحكم وتحديدًا قصر السلطان قديمًا جراء ذلك الانفصال النكد للمغرب عن الخلافة الإسلامية، فقد أسّست أول شركة في المغرب وكانت إنجليزية وسميت بشركة «بلاد البربر» وتعود تفاصيلها لعام ١٥٨٥م أيام حكم أحمد المنصور السعدي، ذكرها المؤرخ البريطاني «ب.ج.روجزر»؛ حيث بعثت ملكة إنجلترا رسالة للقصر مفادها أنها تقترح إقامة شركة تكون هي المحتكر الوحيد لجميع الأنشطة التجارية مع المغرب لمدة ١٢ سنة، الأمر الذي قوى حظوظ الإنجليز ونفوذهم وطوق المغرب اقتصاديًّا، لم يفطن حاكم المغرب للفخ بل اعتبر العقد الرسمي إغلاقًا لباب المشاكل مع التجار الأجانب الذين يتهرَّبون من أداء الضرائب لسلطات الجمارك المغربية؛ حتى أضحى بعدها التجار الإنجليز مستشارين للقصر في السياسة الخارجية، ثم تولَّى المهمة بعدهم الجواسيس القناصل والسفراء، ومن أبرزهم الجاسوس والوزير والسفير فوق العادة جون دريموند هاي والذي

عاصر ثلاثة سلاطين ببلاد المغرب: عبد الرحمن (١٨٢٠-١٨٥٩)م، محمد بن عبد الرحمن (١٨٥٩-١٨٧٣)م، الحسن الأول (١٨٧٣-١٨٩٤) م، وكان ذا معرفة دقيقة بأحوال القصر وذا نفوذ بالغ فيه. فطوال نصف قرن كان قائمًا على تنفيذ الاستراتيجية البريطانية بالمغرب في التحكم في البوابة الغربية لحوض البحر الأبيض المتوسط، وأدارها بمكر وخبث الإنجليز المعهود تحت خديعة الحرص على مصلحة السلاطين والبلد ضد الاعتداءات الخارجية، وخاصة الفرنسية ثم بعدها الإسبانية، وكان ينطلق من المبدأ الخبيث الماكر «كل ما هو في صالح بريطانيا هو في صالح المغرب»، وأن بريطانيا هي الصديق الوحيد الناصح للمغرب، ولا يتوانى في الضغط على السلاطين متى لزم الأمر. وهو في كل هذا ينفذ الاستراتيجية البريطانية في الحفاظ على هيمنة أسطولها على البحر الأبيض المتوسط، ومنها مضيق جبل طارق وبوابته الجنوبية بلاد المغرب، وكان لمدينة طنجة أهميتها في الاستراتيجية البريطانية كونها الشق الجنوبي لمضيق جبل طارق والمقابلة لصخرة جبل طارق في الشمال، أي قفل البحر الأبيض المتوسط للعبور إلى المحيط الأطلسي، ومن ثم كانت طنجة دار إقامة لسفرائها وقناصلها، ثم كان لها ذلك الوضع الخاص فيما بعد.

الصراع الإنجليزي-الفرنسي

وفي سنة ١٨٤٨م، أعلنت فرنسا ضم الجزائر لترابها الوطني للتعبير عن تجديد قوتها وتجاوزها لعقدة هزيمة معركة واترلو ضد الألمان، فبدأت تتحرش بالمغرب، فكانت معركة إيسلي عام ١٨٤٤م التي انكسرت فيها عساكر بلاد المغرب، فأراد الجنرال بيجو قائد القوات الفرنسية الغازية أن يواصل زحفه إلى تازة وفاس وسط المغرب؛ لكن التدخل البريطاني كان حاسمًا؛ حيث أعلن وزير الخارجية البريطاني أبردين للقائم بالأعمال الفرنسي بلندن «إنني لست راغبًا في خلق متاعب للسيد بيجو؛ لكن يجب أن تكون على يقين أن احتلال فرنسا لمكان معيَّن في المغرب سيكون بمثابة الحرب على بريطانيا». وهكذا تمت إعادة فرنسا إلى جحرها حتى لا تتجاوز حدود المهمة المسخَّرة لها استراتيجيًّا من طرف بريطانيا. ووصفت بريطانيا سياستها هاته في خبث ومكر للقصر المغربي من كون موقفها هذا تمليه الصداقة التي تجمع بريطانيا بالمملكة الشريفة، هاته السياسة التي مهدت لوزيرها وسفيرها فوق العادة والمقيم بطنجة تحقيق الأهداف الاستراتيجية البريطانية ببلاد المغرب عبر اتفاقية ١٨٥٦م، وبنودها الثمانية والثلاثين التي أخضعت المغرب للنفوذ الاستعماري البريطاني وجعلت القصر رهينة لدى الإنجليز، فكانت بحق في خبثها ومكرها اتفاقية استعمار بدون قوات عسكرية. ثم كعادتها في تسخير الغير وتوظيفه أدخلت الإسبان شمال المغرب لجعلهم حاجزًا من وصول القوى المنافسة إلى مياه البحر الأبيض المتوسط على ضفته الغربية، فكانت حرب تطوان الإسبانية المغربية عام ١٨٦٠م، والتي أشرفت بريطانيا على اتفاقية وقف إطلاق النار

ثم معاهدة الصلح بين الطرفين في نيسان/أبريل ١٨٦٠م بشروط تخدم المحتل الإسباني، فأوجدت بريطانيا ثقبًا في الجدار المغربي لنفاذ إسبانيا منه إلى شمال المغرب.

الصراع الإنجليزي- الألماني على دول المغرب

ثم طرأ بعدها ما بين (١٨٧٠-١٩١٤)م تحول جوهري في الساحة الدولية وجغرافيته الاستراتيجية؛ حيث تأسَّست وتشكَّلت الإمبراطورية الألمانية بعد اتحاد الإمارات الجرمانية عام ١٨٧١م، وبدأ تاريخ القيصرية الألمانية ما أحدث تحوُّلًا في الموقف الدولي وتهديدًا جديًّا للنفوذ والهيمنة الاستعمارية البريطانية، ثم بدأت الإمبراطورية الألمانية عام ١٨٨٤م تنازع بريطانيا قيادة الموقف الدولي في موجة تدافع استعماري على أفريقيا، وما لبثت ألمانيا حتى اعتلت قيادة الموقف الدولي وتحديدًا ١٩٠٤م، فقد غير صعود البحرية الألمانية ميزان القوى لصالح ألمانيا عطفًا عليه امتلاكها لأقوى الجيوش البرية. ثم بدأت تداعيات الصراع الاستعماري تطفو على الساحة الدولية، ومن هذه التداعيات الوضع الاستعماري للمغرب فدخلت ألمانيا على الخط الاستعماري، فاستبقت بريطانيا الأمر ووضعت فرنسا أمام الخطر الألماني تسخيرًا لها كدرع لحماية نفوذها به، ثم كانت اتفاقية ٨ نيسان/أبريل ١٩٠٤م بين بريطانيا وفرنسا التي بموجبها تم تسليم وسط المغرب لفرنسا للحد من الخطر والأطماع الألمانية ومحاولة لإعادة حالة التوازن الأوروبي لاسترجاع السيطرة البريطانية على الموقف الدولي؛ ما خلف عداء ألمانيا الشرس للاتفاق، فتفجَّرت أزمة دولية حول الوضع الاستعماري للمغرب ما بين (١٩٠٥-١٩٠٦)م كان فيها دعم البريطانيين للموقف الفرنسي جليًّا وواضحًا لأنه موقفهم. ثم كان مؤتمر الجزيرة الخضراء الذي عقد عام ١٩٠٦م لتقرير مصير المغرب كمستعمرة أوروبية، ترتَّب عليه اقتسام المغرب بين فرنسا وإسبانيا بترتيب ومباركة بريطانية، ومن غرائب هذا المؤتمر غياب رئيس الوفد المغربي وتصرف بريطانيا التام في سياساته. وكان استعمار المغرب وتسليمه لإسبانيا وفرنسا سياسة استراتيجية بريطانية للحد من أطماع ألمانيا ومن تهديدها للنفوذ الاستعماري البريطاني ومحاولة لإعادة التوازن الأوروبي؛ لكن التنافس والتنازع والصراع الاستعماري بين ألمانيا وبريطانيا احتدَّ فحاولت ألمانيا انتزاع المغرب في ١ حزيران/يونيو ١٩١١م فأرسلت بارجتها الحربية «بانتر» لمدينة أكادير وهددت بقصف المدينة، وتزامن هذا مع حصار قصر فاس لخلع السلطان عبد الحفيظ، فتدخلت فرنسا فكسرت الحصار، وانتهت الأزمة بحصول ألمانيا على جزء من الكونغو مقابل التخلي عن أطماعها في المغرب. وبعدها تم إعلان استعمار فرنسا للمغرب في ٣٠ آذار/مارس ١٩١٢م.

لكن تعاظمَ الخطر الألماني تفاقم وبات تهديدًا جديًّا للنفوذ الاستعماري البريطاني وتحول ميزان القوى لصالح ألمانيا، وهنا أشعلت بريطانيا فتيل الحرب وجرَّت العالم

للحرب العالمية الأولى لضرب ألمانيا التي نازعتها هيمنتها الاستعمارية وأخلَّت بتوازن الدول الأوروبية... وهكذا سعت بريطانيا لحسم الصراع لصالحها، وكذلك كانت الحرب لتصفية الدولة الإسلامية تصفية نهائية، وفي كل هذا هي تسخر فرنسا وتستعملها في حفظ التوازن الأوروبي ودرء المخاطر عنها. وانتهت الحرب بالقضاء على الخطر الألماني وتصفية الدولة الإسلامية، وأصبحت قيادة الموقف الدولي بيد بريطانيا فباتت هي المهيمنة والمسيطرة على القرار الدولي والصانعة للسياسة الدولية، واستمر نفوذها على حوض الأبيض المتوسط عبر شبكة سفرائها وقناصلها وجواسيسها، وتسخير وتوظيف فرنسا لخدمة مصالحها واستراتيجيتها في السيطرة على الممرات المائية والتجارة العالمية.

استلام بريطانيا لملف استعمار دول المغرب من فرنسا الحرة

أن الموقف الدولي شديد التقلب ولا يستقر على حال، فبدأ التقلب والتحوُّل في ثلاثينات القرن العشرين ماثلًا في تنامي قوة الاتحاد السوفياتي الشيوعي وخطره على ميزان القوى الأوروبي ثم التحوُّل الذي طرأ على الساحة الألمانية. ففي عام ١٩٣٣م، أعطى البرلمان الألماني زعيم الحزب النازي أدولف هتلر بعد تعيينه مستشارًا للبلاد سلطة تشريعية بدون قيود. بعدها، وفي غضون شهور، باشر تنشيط الصناعة الحربية مع التركيز على إعادة تسليح الجيش، بعدها انطلقت ألمانيا في سياستها الخارجية الاستعمارية فضمَّت النمسا ثم تشيكوسلوفاكيا، وبعدها احتلت بولندا وحطمت التوازن الأوروبي واعتلت الموقف الدولي؛ فأصبحت أخطر تهديد للإمبراطورية الاستعمارية البريطانية، ما دفع بريطانيا لجر العالم من جديد إلى الحرب العالمية الثانية سعيًا منها لضرب ألمانيا لإعادة التوازن الأوروبي، وكذلك محاولة منها لتصفية النظام الشيوعي في روسيا.

فاندلعت الحرب في فاتح أيلول/سبتمبر ١٩٣٩م، فاكتسحت الجيوش الألمانية أوروبا، ثم كان الحدث البارز في ربيع ١٩٤٠م حين قامت ألمانيا بغزو فرنسا واحتلالها في أقل من شهر ونصف. بدأ الغزو في ١٠ أيار/مايو ١٩٤٠م، وفي ١٤ حزيران/يونيو ١٩٤٠م سقطت العاصمة باريس دون مقاومة بعد الاستسلام الفرنسي؛ ما أحدث فوضى عارمة في الساحة الفرنسية وفي المستعمرات، وفي ٢٢ حزيران/يونيو ١٩٤٠م وقعت فرنسا على استسلامها من المارشال الفرنسي فيليب بيتان وأنشئت حكومة فيشي في وسط فرنسا الخاضعة للرايخ الألماني، ثم بعدها احتلت ألمانيا كامل فرنسا واستلمت ملف المستعمرات بالجزائر وتونس والمغرب عبر حكومة فيشي، وأعلن المقيم العام بالمغرب نوغيس ولاءه لحكومة الاحتلال في باريس، وبقيت فرنسا تحت الاحتلال الألماني حتى كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٤م؛ ولكن قبلها كان إنزال القوات البريطانية والأمريكية في ٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٢م في آسفي والدار البيضاء والقنيطرة مدن الساحل الأطلسي بالمغرب ووهران والجزائر

على البحر الأبيض المتوسط. وفي ١٤ كانون الثاني/يناير ١٩٤٣م، انعقد مؤتمر آنفا بالدار البيضاء بالمغرب بحضور ونستون تشرشل وفرانكلين روزفلت والجنرال ديغول والجنرال جيرو لتمثيل المقاومة الفرنسية وملك المغرب محمد الخامس وولي عهده الحسن الثاني، انعقد المؤتمر أثناء الحرب لمناقشة مجرياتها والقضايا المتعلقة بها، وقد تردد الجنرال ديغول في قبول الدعوة للحضور لكن رئيس الوزراء البريطاني تشرشل ضغط عليه وهدد بشلِّ غرفة العمليات التي تديرها المقاومة الفرنسية ضد ألمانيا من لندن، فقبل رغم عدم رضاه ومعرفته بأن القرار السياسي الفرنسي أصبح رهينة السياسة البريطانية عطفًا عليها الأمريكية، ثم أصبح ملف المستعمرات الفرنسية بكل من الجزائر وتونس والمغرب على الطاولة البريطانية عطفًا عليها العين الأمريكية، فكان مؤتمر آنفا إعادة لتموضع بريطانيا في غرب المتوسط وإعادة استلام لملفات الجزائر وتونس والمغرب مع إطلالة للعين الأمريكية التي استجد حضورها واطلاعها على المنطقة.

وانتهت الحرب العالمية الثانية في ٢ أيلول/سبتمبر ١٩٤٥م؛ إلا أن نتيجتها هذه المرة كانت ضد بريطانيا، فقد خرجت من الحرب محطَّمة الأضلاع، وانتهى عصر قوة الإمبراطورية البريطانية ودخلت عصر ضعفها، وتحوَّل الموقف الدولي من يد بريطانيا إلى يد أمريكا، إلا أن ضعفها لا يعني طردها من المجال الدولي فقد حافظت على مستعمراتها في قبضة يدها تحت اسم الكومنولث، ثم إن كثيرًا من البلاد الإسلامية استمرت تحت نفوذها وخاضعة لسيطرتها. أما فرنسا فقد كانت نتائج الحرب العالمية عليها كارثية فاحتلالها من طرف ألمانيا والفوضى التي سادت سياستها الاستعمارية خلال حكومة فيشي الخاضعة للاحتلال الألماني، ثم حركة تحريرها التي كانت تدار من قلب لندن أي خاضعة للسياسة البريطانية، فقوات فرنسا الحرة كانت تتحرك تحت أوامر القيادة البريطانية، وفي ضعفها وهوانها كانت الدعوة لحضور مؤتمر آنفا عبر رأسين متنافسين على القيادة هما الجنرال ديغول والجنرال جيرو، لتأكيد بريطانيا دعوتهم بوصفهم قادة المقاومة العسكرية الفرنسية وليس لتمثيل الدولة الفرنسية لأنه حينها سيلزم حضور رأس واحدة، وليقصر النقاش معهما حول السياسات العسكرية وليست السياسة الدولية التي كان اللقاء والمؤتمر الصحافي بشأنها ثنائيًا بين روزفلت وتشرشل. ثم بعدها في آب/أغسطس ١٩٤٣م دمجت قوات ديغول وجيرو في سلسلة قيادة قوات فرنسا الحرة الموحدة التابعة للقيادة الأنجلو-أمريكية، بينما كانت قوات فرنسا المحتلة تابعة للقيادة الألمانية والسوفياتية.[يتبع]

بابا الفاتيكان يشكر الصحافيين لمساعدتهم في الكشف عن الفضائح الجنسية للكنيسة!!.

شكر البابا فرنسيس، بابا الفاتيكان، الصحافيين على المساعدة في الكشف عن فضائح الاعتداءات الجنسية التي تورط فيها رجال الدين والتي حاولت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التستُّر عليها في البداية. وأشاد بابا روما بما سماه «مهمة» الصحافة، وقال إنّ من الضروري أن يخرج الصحافيون من غرف التحرير ويكتشفوا ما يحدث في العالم الخارجي لمواجهة المعلومات المضلِّلة التي غالباً ما توجد على الإنترنت. وأضاف: «أشكركم على إبلاغنا بالخطأ داخل الكنيسة، وعلى مساعدتنا في عدم إخفائه... وعلى الصوت الذي منحتموه لضحايا الانتهاكات». جاء ذلك خلال حفل لتكريم اثنين من المراسلين المخضرمين، هما فيليب بوليلا من «رويترز» وفالنتينا ألازراكي من تلفزيون «نوتيثيروس» المكسيكي، على حياتهما المهنية الطويلة التي قضياها في تغطية شؤون الفاتيكان.

الوعي: هذا الشكر ليس من القلب، وإنما هو شكر المغلوب على أمره. ويبقى أن غير المكشوف من الفضائح الجنسية هو أكثر بما لا يقاس، ويذكر أن هذه الفضائح تطال كبار رجال الدين عندهم، أما العاديون منهم فهم غير مكشوفين وخاصة إذا كانت فيما بينهم... والسبب واحد وهو مخالفة الفطرة في الزواج والإنجاب، وسبب ذلك هو التحريف في الدين.

جدل في مصر بعد عودة فيديوهات زكريا بطرس «المسيئة للإسلام» إلى الواجهة

عادت الفيديوهات المسيئة للإسلام وللنبي محمد ﷺ من الكاهن المصري السابق زكريا بطرس (٨٧ عامًا) إلى الواجهة في مقاطع اتسمت بنبرة هجومية ما استدعى ردًا من الكنيسة القبطية في القاهرة. وكان هذا الكاهن يقدم، منذ أكثر من عقد مضى، برامج على قناة دينية مسيحية اتهمت بتوجيه إساءات للإسلام وللمسلمين قبيل إقفالها. وعلقت الكنيسة الأرثوذكسية على انتشار الفيديوهات لتؤكد أن صلتها ببطرس قد انقطعت منذ أكثر من ١٨ عامًا، معبرة عن رفضها لها، وقالت الكنيسة إنه منذ تاريخ ٢٠٠٣م، لم يعُد تابعًا للكنيسة القبطية الأرثوذكسية أو يمارس فيها أي عمل من قريب أو بعيد» . وتابع بيان الكنيسة «بعدها ذهب إلى الولايات المتحدة واستضاف البعضُ اجتماعاته في بيوت وفنادق حذرت إيبارشية لوس أنجلوس شعبها من استضافته وقتها». وانهالت على وسائل التواصل الاجتماعي ردود الفعل المستجهنة لفيديوهات بطرس، وهناك تخوف من أن تؤدي المقاطع لمشاحنات طائفية في مصر التي يشكل أقباطها أكبر طائفة مسيحية في الشرق الأوسط.

الوعي: إن خروج مثل هذه الفيديوهات في هذا التوقيت ينسجم مع رياح أمريكا

السياسية في تقسيم المنطقة وإثارة مسألة الأقليات، خاصة وأن الأقباط هم أكبر أقلية مسيحية في المنطقة، ... إنها لعبة الأقليات المسمومة، والتي ترعاها أمريكا والغرب في المنطقة

النيابة الروسية تطلب حلَّ أقدم وأهم منظمة حقوقية في البلاد

قدَّمت النيابة العامة في روسيا، طلبًا للمحكمة العليا لحل منظمة «ميموريال» غير الحكومية، وفق ما أعلنت الخميس المنظمة الحقوقية الأقدم (تأسست عام ١٩٨٩م) والأكثر أهمية في روسيا مستنكرة الخطوة بوصفها «سياسية». وأوضحت المنظمة في بيان أنها متهمة بـ«انتهاك منهجي» لقانون «العملاء الأجانب»، وأدرجتها السلطات الروسية على لائحة «العملاء الأجانب» عام ٢٠١٦م. ويلزم الإدراج المنظمات أو وسائل الإعلام أو الأشخاص المعنيين بالإعلان عن جميع منشوراتهم، بما في ذلك على شبكات التواصل الاجتماعي، والامتثال لإجراءات إدارية مضنية. وأوردت «ميموريال» في بيانها: «لقد أكدنا مرارًا أن هذا القانون وضع منذ البداية كأداة قضائية تعسفية ضد المنظمات المستقلة وأصررنا على إلغائه». وتابعت المنظمة التي شاركت لسنوات في معركة قانونية لإلغاء إدراجها على اللائحة «نعتقد أن لا أساس شرعيًا لحل ميموريال» . وشدَّدت على أن طلب النيابة العامة «قرار سياسي بتدمير ميموريال». ومن المقرر أن تنظر المحكمة العليا في طلب النيابة في ٢٥ نوفمبر، بحسب المعلومات المتاحة على موقعها الرسمي على الإنترنت. ورفضت المحكمة العليا حلَّ «ميموريال» عام ٢٠١٥م بعد أن قدمت وزارة العدل الروسية طلبًا بذلك، وصعَّدت السلطات الروسية ضغوطها على المنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام المستقلة والمعارضة في الأشهر الأخيرة، وأدرجت معظمها على لائحة «العملاء الأجانب».

الوعي: إن روسيا لا تختلف عن غيرها من الدول القمعية ومصادرة الرأي والاتهامات الجاهزة...لذلك تعتبر مثل هذه القرارات سياسية قمعية أكثر مما هي مسألة انتهاك قوانين.

الأمم المتحدة تكشف عدد النازحين حول العالم

قالت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين إن عدد الذين أجبروا على ترك منازلهم حول العالم ارتفع على الأرجح إلى أكثر من ٨٤ مليون شخص في النصف الأول من هذا العام، مشيرة إلى أن هذه زيادة غذتها الصراعات في أفريقيا على الأغلب. وقال فيليبو غراندي، المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، في بيان: «المجتمع الدولي يفشل في منع العنف، والاضطهاد، وانتهاك حقوق الإنسان؛ حيث لا يزال طرد السكان من ديارهم مستمرًا. بالإضافة إلى ذلك، تؤدي آثار تغير المناخ إلى تفاقم نقاط الضعف في العديد من المناطق التي تستضيف النازحين قسرًا"، وأضاف أنه تم تسجيل أكثر من ٤,٣ مليون حالة نزوح داخلي جديدة بين يناير، ويونيو/حزيران في ٣٣ دولة تراقب المفوضية أوضاع النزوح فيها. وذكر أن ذلك يمثل زيادة حادة مقارنة بالعام السابق، وأن العنف المتصاعد أدى لنزوح أعداد كبيرة من السكان في

الكونغو، وإثيوبيا، وأفغانستان، وموزمبيق، وميانمار، وجنوب السودان، ودول في منطقة الساحل بغرب أفريقيا. وقالت المفوضية إن أرقامها جاءت من حكومات، ومن مكاتبها حول العالم، مضيفة أنها استكملت هذه الأرقام ببيانات من منظمات غير حكومية.

الوعي: يبدو ان غراندي هذا يسير في تحليله بشكل معكوس فهو يقول: المجتمع الدولي يفشل في منع العنف، والاضطهاد، وانتهاك حقوق الإنسان وطرد السكان من ديارهم، والأصل أن يقول أن المجتمع الدولي وتحديدًا الغربي هو المتسبب، فكلامه هذا فيه قلب للحقائق وتزوير.

مكبَّات الحرائق في العراق وأفغانستان.. دخان يطارد الجنود الأميركيين المتقاعدين

استخدم الجيش الأميركي حفرًا للحرق في العراق وأفغانستان للتخلص من أي شيء تقريبًا: الإلكترونيات، والمواد الكيميائية، والملفات السرية، والممنوعات، والبلاستيك، والمطاط، وحتى المركبات التي تم تفجيرها، وعندما كان يخمد اللهب، كانوا يلقون وقود الطائرات لتسريع الحرق. وتخرج منها روائح كريهة خارجة عن السيطرة، وكانت مكبات الحرائق هي المكان الذي لا مفر من الوجود بقربه... ولا يزال آلاف الأشخاص الآخرين، الذين يشتبهون في أنهم مصابون بأمراض تتراوح بين أمراض الجهاز التنفسي والسرطان مرتبطة بانتشارهم في حروب ما بعد الحادث عشر من سبتمبر، يخضعون لعملية التشخيص الذي يستغرق وقتًا طويلًا للغاية. وأنشأت وزارة شؤون المحاربين القدامى سجلًّا لحُفَر الحروق في عام ٢٠١٤م للمساعدة في «فهم أفضل للآثار الصحية المحتملة لحفر الحروق والتعرضات الأخرى» . وحتى الآن تم تسجيل أكثر من ٢٠٠ ألف شخص، ولكن تم رفض غالبية مطالبات الحصول على المنافع المتعلقة بحفر الحروق المقدمة حتى الآن... ويذكر أن الرئيس جو بايدن كثيرًا ما ربط وفاة نجله بو في عام ٢٠١٥م بتعرضه لمكبات الحرائق في العراق، وهو خدم كرائد في الحرس الوطني بجيش ديلاوير، وخدم في العراق من ٢٠٠٨م إلى ٢٠٠٩م. وفي كلمة ألقاها أمام أفراد الخدمة العسكرية في مايو من هذا العام، قال بايدن إن ابنه ذهب إلى العراق «كشاب يتمتع بصحة جيدة وعاد مصابًا بورم دماغي حاد؛ لأن حلقه كان في اتجاه الريح من تلك الحروق» .

الوعي: إن المآسي التي تخلفها حروب أمريكا على الآخرين يصيبها الكثير من شظاياها، فتطور السلاح له عواقبه التي لا يستهان بها حتى على من يستعمله؛ ولكن من غير الوارد أن يتوقف هذا الاستعمال؛ لأن الذي يقف وراء خوض الحروب هي طبقة الرأسماليين المجرمة، والتي ليس لها قلب... إن الحضارة الغربية خطرة حتى على نفسها ومدمرة حتى لأهلها، وبالتالي يجب إنقاذ العالم منها.

قال الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩﴾ [الكهف: ٢٧- ٢٨- ٢٩].

وعن سبب نزول الآية الأولى فإنها نزلت في سلمان وأبي ذر وصهيب وعمار وحباب وغيرهم من فقراء أصحاب النبي ﷺ؛ وذلك أن المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ وهم عيينة بن الحصين والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا رسول الله، إن جلستَ في صدر المجلس ونحَّيتَ عنا هؤلاء روائح صنانهم، وكانت عليهم جبات الصوف؛ جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك؛ فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء، فلما نزلت الآية قام النبي ﷺ يلتمسهم، فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عز وجل، فقال الحمد لله الذي لم يمتْني حتى أمرني أن أصبِّر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات.

- **جاء في تفسير الظلال لسيد قطب:**

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾ وبتوجيه الرسول ﷺ إلى تلاوة ما أوحاه ربه إليه، وفيه فصل الخطاب، وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل، والاتجاه إلى الله وحده، فليس من حمى إلا حماه .وقد فر إليه أصحاب الكهف فشملهم برحمته ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾وهكذا تنتهي القصة، تسبقها وتتخللها وتعقبها تلك التوجيهات التي من أجلها يساق القصص في القرآن، مع التناسق المطلق بين التوجيه الديني والعرض الفني في السياق.

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ هذا الدرس كله تقرير للقيم في ميزان العقيدة. إن القيم الحقيقية ليست هي المال، وليست هي الجاه، وليست هي السلطان، كذلك ليست هي اللذائذ والمتاع في هذه الحياة... إن هذه كلها قيم زائفة وقيم زائلة. والإسلام لا يحرم الطيِّب منها؛ ولكنه لا يجعل منها غاية لحياة الإنسان. فمن شاء أن يتمتع بها فليتمتع، ولكن ليذكر الله الذي أنعم بها وليشكره على النعمة بالعمل الصالح، فالباقيات الصالحات خير وأبقى. وهو يبدأ بتوجيه الرسول ﷺ أن يصبر نفسه مع الذين يتجهون إلى الله، وأن يغفل ويهمل الذين يغفلون عن ذكر الله... يروى أنها نزلت في أشراف قريش، حين طلبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يطرد فقراء المؤمنين من أمثال بلال وصهيب وعمار وخباب وابن مسعود إذا كان يطمع في إيمان رؤوس قريش، أو أن يجعل لهم مجلسًا غير مجلس هؤلاء النفر؛ لأن عليهم جبابًا تفوح منها رائحة العرق، فتؤذي السادة من كبراء قريش! ويروى أن الرسول ﷺ طمع في إيمانهم فحدثته نفسه فيما طلبوا إليه. فأنزل الله عز وجل الآية، أنزلها تعلن عن القيم الحقيقية، وتقيم الميزان الذي لا يخطئ. وبعد ذلك ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ فالإسلام لا يتملق أحدًا، ولا يزن الناس بموازين الجاهلية الأولى، ولا أية جاهلية تقيم للناس ميزانًا غير ميزانه. ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ أي لا تمل ولا تستعجل ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ فالله غايتهم، يتجهون إليه بالغداة والعشي، لا يتحولون عنه، ولا يبتغون إلا رضاه. وما يبتغونه أجلُّ وأعلى من كل ما يبتغيه طلاب الحياة. اصبر نفسك مع هؤلاء، صاحبهم وجالسهم وعلِّمهم. ففيهم الخير، وعلى مثلهم تقوم الدعوات. فالدعوات لا تقوم على من يعتنقونها لأنها غالبة؛ ومن يعتنقونها ليقودوا بها الأتباع؛ ومن يعتنقونها ليحققوا بها الأطماع، وليتجروا بها في سوق الدعوات تشترى منهم وتباع! إنما تقوم الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى الله خالصة له، لا تبغي جاهًا ولا متاعًا ولا انتفاعًا، إنما تبتغي وجهه وترجو رضاه. ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ ولا يتحول اهتمامك عنهم إلى مظاهر الحياة التي يستمتع بها أصحاب الزينة. فهذه زينة الحياة ﴿ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ لا ترتفع إلى ذلك الأفق العالي الذي يتطلع إليه من يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه. ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ لا تطعهم فيما يطلبون من تمييز بينهم وبين الفقراء. فلو ذكروا الله لطامنوا من كبريائهم، وخففوا من غلوائهم، وخفضوا من تلك الهامات المتشامخة، واستشعروا جلال الله الذي تتساوى في ظله الرؤوس؛ وأحسوا رابطة العقيدة التي يصبح بها الناس إخوة. ولكنهم إنما

يتبعون أهواءهم. أهواء الجاهلية، ويحكمون مقاييسها في العباد. فهم وأقوالهم سفه ضائع لا يستحق إلا الإغفال جزاء ما غفلوا عن ذكر الله. لقد جاء الإسلام ليسوي بين الرؤوس أمام الله. فلا تفاضل بينها بمال ولا نسب ولا جاه. فهذه قيم زائفة، وقيم زائلة، إنما التفاضل بمكانها عند الله. ومكانها عند الله يوزن بقدر اتجاهها إليه وتجردها له. وما عدا هذا فهو الهوى والسفه والبطلان. ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ أغفلنا قلبه حين اتجه إلى ذاته، وإلى ماله، وإلى أبنائه، وإلى متاعه ولذائذه وشهواته، فلم يعد في قلبه متسع لله. والقلب الذي يشتغل بهذه الشواغل، ويجعلها غاية حياته لا جرم يغفل عن ذكر الله، فيزيده الله غفلة، ويملي له فيما هو فيه، حتى تفلت الأيام من بين يديه، ويلقى ما أعده الله لأمثاله الذين يظلمون أنفسهم، ويظلمون غيرهم: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ...﴾ بهذه العزة، وبهذه الصراحة، وبهذه الصرامة، فالحق لا ينثني ولا ينحني، إنما يسير في طريقه قيِّمًا لا عِوج فيه، قويًّا لا ضعف فيه، صريحًا لا مداورة فيه. فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر .ومن لم يعجبه الحق فليذهب، ومن لم يجعل هواه تبعًا لما جاء من عند الله فلا مجاملة على حساب العقيدة؛ ومن لم يحنِ هامته ويطامن من كبريائه أمام جلال الله فلا حاجة بالعقيدة إليه. إن العقيدة ليست ملكًا لأحد حتى يجامل فيها، إنما هي ملك لله، والله غني عن العالمين. والعقيدة لا تعتزُّ ولا تنتصر بمن لا يريدونها لذاتها خالصة، ولا يأخذونها كما هي بلا تحوير. والذي يترفَّع عن المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه لا يرجى منه خير للإسلام ولا المسلمين .ثم يعرض ما أعدَّ للكافرين ، وما أعدَّ للمؤمنين في مشهد من مشاهد القيامة: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا..﴾ أعددناها وأحضرناها، فهي لا تحتاج إلى جهد لإيقادها، ولا تستغرق زمنًا لإعدادها! ومع أن خلق أي شيء لا يقتضي إلا كلمة الإرادة: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾؛ إلا أن التعبير هنا بلفظ ﴿أَعۡتَدۡنَا﴾ يلقي ظل السرعة والتهيُّؤ والاستعداد، والأخذ المباشر إلى النار المعدَّة المهيَّأة للاستقبال! وهي نار ذات سرادق يحيط بالظالمين، فلا سبيل إلى الهرب، ولا أمل في النجاة والإفلات، ولا مطمع في منفذ تهب منه نسمة، أو يكون فيه استرواح! فإن استغاثوا من الحريق والظمأ أغيثوا، أغيثوا بماء كدردي الزيت المغلي في قول، وكالصديد الساخن في قول! يشوي الوجوه بالقرب منها، فكيف بالحلوق والبطون التي تتجرَّعه؟! ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ الذي يغاث به الملهوفون من الحريق! ويا لسوء النار وسرادقها مكانًا للارتفاق والاتِّكاء. وفي ذكر الارتفاق في سرادق النار تهكُّم مرير. فما هم هنالك للارتفاق، إنما هم للاشتواء!». ■

بسم الله الرحمن الرحيم

أوصاني خليلي...

روى أحمد والبزار وابن حبان في حديث صحيح، عن أبي ذر الغفاري ﷺ: «**أوصاني خليلي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بخصالٍ مِن الخيرِ: أوصاني بألَّا أنظُرَ إلى مَن هو فوقي وأنْ أنظُرَ إلى مَن هو دوني، وأوصاني بحبِّ المساكينِ والدُّنوِّ منهم، وأوصاني أنْ أصِلَ رحِمي وإنْ أدبَرتْ، وأوصاني ألَّا أخافَ في اللهِ لومةَ لائمٍ، وأوصاني أنْ أقولَ الحقَّ وإنْ كان مُرًّا، وأوصاني أنْ أُكثِرَ مِن قولِ: «لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ فإنَّها كنزٌ مِن كنوزُ الجنَّةِ**».

* قوله ﷺ: «**أَوصاني خليلي صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بخِصالٍ مِن الخيرِ**» والمرادُ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَهِدَ إليه بأمورٍ فيها الخيرُ لمَن التزَمَها وعَمِل بها، ووضَعَ قولَه: «**خليلي**» مكانَ رسولِ اللهِ ﷺ؛ إظهارًا لغايةِ تعطُّفِه وحبِّه الشديدِ للنبيِّ ﷺ.

* وقوله ﷺ: «**أَوصاني بألَّا أنظُرَ إلى مَن هو فَوقي**» وهو الذي يَتقدَّمُ على الإنسانِ في المالِ والغِنى والمناصبِ، والمرادُ ألَّا أطلُبَ ما في يدِ الآخَرينَ مِن أمورِ الدُّنيا «**وأنْ أنظُرَ إلى مَن هو دوني**» وهو الذي أقَلُّ منه في المالِ أو الصِّحَّةِ ونحوِه؛ وذلك حتى يَقنَعَ الإنسانُ بما في يدِه فيَحمَدَ اللهَ ويشكُرَه عليه، فيَنشغِلَ بالعِبادةِ والطاعةِ، وتَستقِرَّ له نفسُه وروحُه أكثَرَ مِن أنْ يَنشغِلَ بطلبِ الدُّنيا فيُرهِقَ نفسَه ويشُقَّ عليها بما هو زائلٌ. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هو أَسفَل مِنْكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوقَكُم؛ فهُوَ أَجْدَرُ أَن لا تَزْدَرُوا نعمةَ اللَّه عَلَيْكُمْ**» متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ مسلمٍ. وفي رواية البخاري: «**إِذا نَظَر أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عليهِ في المالِ وَالخَلْقِ فلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْه**». قال ابن حجر: «وفي معناه، أي الحديث السابق، ما أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير رفعَهُ: «**أقِلُّوا الدخول على الأغنياء؛ فإنه أحرى أن لا تَزْدَرُوا نعمة الله**». قال بن بطال: هذا الحديث جامع لمعاني الخير؛ ولهذا قال ابن عون:« صحبت الأغنياء فلم أرَ أحداً أكثر همَّاً مني، أرى دابَّةً خيراً من دابَّتي، وثوباً خيراً من ثوبي، وصحبت الفقراء فاسترحت».

* وقوله ﷺ: «**وأَوصاني بحُبِّ المَساكينِ، والدُّنوِّ منهم**»، والمِسكينُ هنا: مَن كان قَلبُه مُستَكينًا للهِ خاضِعًا له خاشعًا، ولأنَّ المساكينَ ليس عِندَهم مِن الدُّنيا ما يُوجِبُ مَحبَّتَهم لأجْلِه؛

فلا يُحَبُّونَ إلَّا للهِ عزَّ وجلَّ، والحبُّ في اللهِ مِن أَوثَقِ عُرى الإيمانِ، والـمُحِبُّ لأهلِ الإيمانِ وأهلِ طاعةِ اللهِ تعالى يَقرُبُ أنْ يَعمَلَ بعمَلِهم. فعن أسامة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**قُمتُ على باب الجنة، فإذا عامَّةُ من دخَلَها المساكينُ، وأصحاب الجَدِّ** (الحظ والغنى) **محبوسون** (لم يؤذَن لهم بعدُ في دخول الجنة حتى يأذن الله) **غير أن أصحاب النار قد أُمِرَ بهم إلى النار، وقمتُ على باب النار، فإذا عامَّةُ من دخَلَها النساءُ**» متفق عليه. قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: «اتخذوا اليدَ عند المساكينِ؛ فإنَّ لهم يومَ القيامةِ دولةً»، وقال الفضيلُ بنُ عياضٍ: «مَن أرادَ عِزَّ الآخرةِ؛ فليكنْ مجلسُهُ مع المساكينِ».

* وقوله ﷺ: «**وأَوصاني أنْ أَصِلَ رَحِمي وإنْ أدبَرَتْ**» بعُدتْ، أو أنَّهم قطَعوها، والرَّحِمُ هي الصِّلةُ التي تكونُ بينَ الشَّخْصِ وغيرِه، والمرادُ بها هنا: الأَقارِبُ، ويُطلَقُ عليهم: أُولو الأرحامِ. روى الإمام أحمد والدارمي عن حكيم بن حزام «**خير الصدقة على القريب الكاشح**» ومعناه، فهو أن أفضل ما يتصدَّق به المرء هو ما يتصدَّق به على قريبه الذي يعاديه ويضمر ذلك؛ لأن في هذه الصدقة الجمع بين صلة الرحم وترغيم الشيطان. فالكاشح كما في «لسان العرب»: العدو الذي يضمر عداوته ويطوي عليها كشحه أي باطنه. وعن سلمان بن عامر قال :قال رسول الله ﷺ: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة**».

* وقوله ﷺ: «**وأَوصاني ألَّا أخافَ في اللهِ لَومةَ لائمٍ**» بألَّا يُقدِّمَ الخوفَ مِن أحدٍ على الخوفِ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ، ولكنْ يَصدَعُ بالحقِّ. وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: «**بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ** (السهل والصعب) **وَعَلَى أَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لاَ نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ**». وأخرج الترمذي: «**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**». وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ**» أخرجه أحمد. وقد ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها تكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها**». قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: «**تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**». قال الإمام النووي: «معناه: نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر في كل زمان ومكان، الكبار والصغار، لا نداهن فيه أحدًا ولا نخافه».

* وقوله ﷺ: «**وأَوصاني أنْ أقولَ الحقَّ وإن كان مُرًّا**»، وألَّا يَخشى أحدًا في قولِ الحقِّ وإنْ أُوذيَ فيه. فقد خرج أبو بكر الصديق ﷺ في بداية الدعوة إلى قريش، وعزم على أن يسمعهم

كلمة الحق، فخطب فيهم بالإسلام، وكان أول خطيب يدعو إلى الله ورسوله، فتناوله الأعداء بالضرب المبرح على جسده ووجهه، حتى ما عرف أنفه من وجهه، فحملوه إلى بيته وما يشكُّون في موته. ونقل ابن هشام أن صحابة رسول الله ﷺ اجتمعوا يومًا فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود ﷺ: أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه. قال: دعوني فإن الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، ثم قرأ :«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» رافعا بها صوته ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن: ١، ٢]، ثم استقبلها يقرؤها، فتأملوه، فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد. فقاموا إليه، فجعلوا يضربونه في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثَّروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينَّهم بمثلها. قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون». وكذلك فعل أبو ذر الغفاري ﷺ لما أسلم قال له النبي ﷺ: «**ارجع إلى قومك (غفار)، فأخبرهم حتى يأتيك أمري**». فقال: وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ (قريش). فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، فاستنقذه منهم، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِمِثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ فاستنقذه منهم» متفق عليه. ومِمَّا جاء عن أبي ذر ﷺ قوله: «مَا زَالَ بِي الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى مَا تَرَكَ الْحَقُّ لِي صَدِيقًا» رواه أحمد بسند جيد..

*وقوله ﷺ: «**وأوصاني: أنْ أُكثِرَ مِن قولِ: لا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ**»، هي كلمةٌ فيها اعترافٌ مِن قائلِها بالإذعانِ والخضوعِ للهِ تعالى وتسليمِ الأمرِ إليه، ومعناها: أنَّه لا حيلةَ للعَبدِ ولا تَحوُّلَ له عن معصيةِ اللهِ إلَّا بإذنِه، وقيل: مَعْناها: لا حوْلَ في دَفْعِ الشَّرِّ، ولا طاقةَ بجَلْبِ خَيرٍ إلَّا بإذنِ اللهِ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال لأبي موسى رضي الله عنه "**ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة**"؟ قال: بلى، قال: "**لا حول ولا قوة إلا بالله**" وهذا بيانٌ لعظيمِ وفضلِ تلك الكلمة. وهذه الجملة العظيمة فيها التسليم لله تعالى والاعتماد عليه، وأن (الحول) أي الحركة، أو (التحول) من حال إلى حال. والقوة على الطاعة، لا تكون إلا بالله. ويقول ابن القيم رحمه الله: وَأَمَّا تَأْثِيرُ «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ [يعني: داء الهم والغم] فَلِمَا فِيهَا مِنْ كَمَالِ التَّفْوِيضِ، وَالتَّبَرِّي مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ، وَتَسْلِيمِ الْأَمْرِ كُلِّهِ لَهُ، وَعَدَمِ مُنَازَعَتِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ .■

الدعوة إلى «الديانة الإبراهيمية الجديدة» وجه آخر من وجوه الحرب على الإسلام

«الديانة الإبراهيمية الجديدة» هو اسم لديانة جديدة محرَّفة، توصف عند مبتدعيها بإنها تشكل الجامع المشترك بين الأديان (الإسلام والمسيحية واليهودية) باعتبار أن النبي إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء في هذه الأديان. والهدف المعلن للمشروع هو «التركيز على المشترك بين الديانات، والتغاضي عما يمكن أن يسبب نزاعات وقتالًا بين الشعوب». وقد بدأ الترويج للفكرة فعلًا في إطار «إقامة السلام بين الشعوب والدول بغض النظر عن الفروقات».

وهذه الدعوة تأتي في إطار الحرب على الإسلام التي تسعِّرها الولايات المتحدة في إطار فرض نظامها الدولي الجديد على العالم ومنه العالم الإسلامي، وتترافق مع تطبيع العلاقات مع (إسرائيل) في المنطقة العربية خاصة. فقد تم تداول مصطلح «الإبراهيمية» مع توقيع الإمارات والبحرين اتفاق تطبيع مع (إسرائيل) في سبتمبر أيلول العام الماضي. وهو الاتفاق الذي رعته الولايات المتحدة الأمريكية ورئيسها حينها دونالد ترامب ومستشاره جاريد كوشنير؛ حيث سُمِّي بـ «الاتفاق الإبراهيمي». ولقد ورد في نص إعلان الاتفاق المنشور على صفحة وزارة الخارجية الأمريكية: «نحن نشجع جهود دعم الحوار بين الثقافات والأديان للدفع بثقافة سلام بين الديانات الإبراهيمية الثلاث والإنسانية جمعاء».

وهذه الدعوة لها دعاة أبرزهم محمد بن زايد (يتم تداول ونشر صورة تخيُّلية لمحمد بن زايد على مواقع التواصل الاجتماعي على نطاق واسع على هيئة شيطان ويتم التعليق عليها بشكل ساخر). والربط واضح بين الدعوة «للإبراهيمية» وبين «بيت العائلة الإبراهيمية» الذي أمر حاكم أبو ظبي محمد بن زايد بتأسيسه، والذي يضم مسجدًا وكنيسةً وكنيسًا يهوديًّا، وسيتم افتتاحه في عام ٢٠٢٢م. وهكذا بدأ الحديث عن التسامح والتواصل والحوار بين البلدان والشعوب والملل والأديان ليتحول فيما بعد إلى حديث عما يعرف بـ«الديانة الإبراهيمية الموحَّدة».

وهذه الدعوة لها أصل عند غلاة الصوفيين السابقين، وقد رفضها علماء المسلمين الأوائل ومنهم ابن تيمية حيث ذكر في مجموع الفتاوى:«كان هؤلاء كابن سبعين ونحوه يجعلون أفضل الخلق عندهم، المحقق، وهو القائل بالوحدة، وإذا وصل إلى هذا فلا يضرُّه عندهم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا، بل كان ابن سبعين وابن هود والتلمساني وغيرهم يسوِّغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذه طرقًا إلى الله بمنزلة مذاهب المسلمين» وهذا مما يفسر الدافع المعلن لدى أمريكا إلى تبني الدعوة الصوفية التي تقوم على مثل هذه المفاهيم المنحرفة، وبالتالي دعمها لمواجهة مشروع الدعوة إلى إقامة دولة الخلافة.

ويذكر الكاتب محمد محمد حسين أن من أشهر دعاة وحدة الأديان في العصر الحديث جمال الدين الفارسي المشهور بالأفغاني، فقد كان له دور خطير في السعي إلى توحيد الأديان الثلاثة، وتلقَّف هذه الدعوة من بعده تلميذه محمد عبده فقد كان له مشاركة في التوفيق بين الإسلام والنصرانية. ومعلوم ارتباط داعيي الشر هذين بالماسونية، وبتوافق دعوتهما مع رياح السياسة البريطانية.

الوعي: إن الدعوة إلى وحدة الأديان هي دعوة سياسية خبيثة مغلَّفة بألفاظ التعايش والحوار والتقارب والتسامح والزمالة بين الأديان... وأصحاب هذه الدعوة يريدون بالحقيقة إيجاد حالة اندماج أديان (وليس فقط اندماج أتباع) وتحديدًا الديانة الإسلامية، وهي دعوة لا تخرج عن الحرب العالمية على الإسلام لتحريفه وتبديله. أما الأديان الأخرى فهي محرَّفة بالأصل، وهي دعوة تخالف الفطرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

وهذه الدعوة هي كفر بواح، لما تتضمنه من تكذيب للنصوص الصحيحة الظاهرة، وتعارض المعلوم من الدين بالضرورة، ويدرك ضلالها العوام فضلًا عن الخواص، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] والله أعلمنا أن هذا الدين الذي رضيه الله لنا كامل ونعمته تامة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وأنه ناسخ لما سبقه من ديانات اعتراها التحريف والتبديل قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وأن اليهود والنصارى وجميع الأمم عليهم أن يؤمنوا بما جاء به محمد ﷺ تمامًا على الذي أنزل، ومن يتولَّى فإنما هو في شقاق، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧] وحرم الشرع اتخاذ اليهود والنصارى أولياء فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾[المائدة: ٥١]. بل اعتبرهم الشرع أعداء، وعلى المسلمين أن يتخذوهم أعداء قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾... ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوَّى بين الإسلام وغيره من الأديان فقد خرج من ربقة الإسلام. ■